عامنا الثاني

★

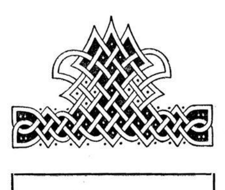
بهذا العدد تودع « الاديب » سنتها الاولى وتستقبل السنة الثانية !
ولا شك انك قد شعرت ، ايها القارىء الكريم ، بمدى الجهود التي نبذلها فنتغلب على العقبات التي لا بد ان تلاقيها الاعمال الادبية في مثل هذه الظروف .

وليس لنا ما نشكوه ، فان التشجيع الذي صادفناه في مختلف الاقطار العربية لخير حافز لنا على المضي قدماً . وليس ادل على هذا التشجيع من المساهمة الادبية التي تكرم بها علينا الادباء في كل قطر عربي ، ولنا امل في المزيد .

فاذا نجحت « الاديب » بان تظل صوتاً للادب والفكر والمبادىء القومية الصحيحة في الاقطار العربية جميعها ، في هذه الفترة التي قل فيها الانصراف الى الادب ، فاننا لنعتبر انفسنا جد سعداء . ولكن ذلك يتوقف عليك ، ايها الاديب العربي ، كما يتوقف علينا .
ويتوقف عليك ايها القارىء الكريم ، ايضاً ، فان « الاديب » لم تبلغ ما بلغت الا بمعاضدتك المعنوية والمادية ، وهي مكملة سيرها في طريق التقدم ، معتمدة عليك وحسب .

وفقنا الله الى رضاك والى ما فيه الخير العام .

« الاديب »



الحضارة العربية

بقلم قدري حافظ طوقان
عضو الجمعية الملكية الاسيوية في لندن وجمعيات العلوم الرياضية
في انكلترا واميركا ومجلس التعليم العالي في فلسطين

ان من يطالع المؤلفات الحديثة عن الحضارة العربية يرى آراء متضاربة في الاساس الذي قامت عليه، وفي المناهل التي استقت منها، ويرى كذلك تحاملا عليها وانتقاصاً لقيمتها. فبعض المؤرخين لا ينسب الى العرب أي فضل في خدمة المدنية وينفي عنهم الابتكار، ويقول انهم لم يكونوا غير نقلة للعلوم وان نتاجهم العقلي هو من الدرجة الثانية من حيث قيمته وأثره في تقدم العلوم، وانهم كانوا متأثرين بالثقافة اليونانية وقد اتبعوها وفضلوها على غيرها. وهناك فريق آخر من الاوربيين يرى غير ذلك ويقول بان العرب فضلوا الثقافة الهندية وتأثروا بها اكثر من غيرها، وانهم كانوا عالة عليها اقتبسوا منها اكثر ما جاءوا به من آراء ونظريات في العلوم والفنون، ويرى هذا الفريق في ذلك نقصاً معيباً وناحية الضعف في الحضارة العربية.

وقد حاولت ان اعرف الاساس الذي يبني عليه هؤلاء العلماء اقوالهم واحكامهم في الحضارة العربية، فتوصلت بعد بحث الى ان الاساس الذي يعتمدون عليه في هذا الشأن هو هذا الاقتباس، اذ يرون فيه النقطة الضعيفة في تاريخ تقدم العلم عند العرب.

ان اقتباس العرب عن اليونان او الهنود او غيرهم ممن سبقهم من الامم لم يكن الا بموجب غريزة في الانسان تميزه عن الحيوان، فالانسان على رأي الفيلسوف كورزبسكي (Korzybsky) يأخذ دائماً ما عمله غيره ويزيد عليه، وان قوة الانتاج في الانسان لا تقوم ولا تقوى الا على نتاج السابقين. وعلى هذا فليس في الجري على هذه الغريزة عيب او مجال للتنقص.

لا ننكر ان العرب اقتبسوا عن غيرهم، وهذا الاقتباس مما ساعد على تقوية قوى الانتاج فيهم، ومما ادى الى اصلاح الاخطاء التي وجدوها في تراث الامم التي سبقتهم والى اضافة بحوث ونظريات هامة جعلت العلماء المنصفين يعتبرون بعض العلوم من موضوعات العرب. وتصفح بسيط لتاريخ العلوم في الرياضيات والطبيعيات والطب والفلسفة والفلك يثبت صحة رأينا ويريك خصب القريحة العربية بأجلى بيان. قال البارون (دى فو) : « ... ان الميراث العلمي الذى تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام به، اما العرب فقد حفظوه واتقنوه ... فهم لم يكونوا حفظة وخزنة للعلوم فحسب ولكنهم توفروا على ترقيتها وتطبيقها باذلين الجهد في تحسينها وانمائها حتى سلموها للعصور

الحديثة ...» وقال الدكتور سارطون في احدى محاضراته في جامعة بيروت الاميركية :
« ... ان بعض الاوربيين يحاولون ان ينتقصوا من قدر العرب العلمي في القرون الوسطى، وذلك بقولهم ان العرب لم يكونوا غير نقلة للعلوم لم يزيدوا عليها شيئاً ... هذا خطأ ... واذا افترضنا ان العرب لم يكونوا غير نقلة، أليس في عملهم هذا خدمة كبيرة للعالم ؟ فلولا نقلهم لما تقدمت العلوم تقدمها الحاضر ولكنا حتى الآن في قرون وسطى ...» ويعتقد الدكتور سارطون بان نقل العرب لم يكن ميكانيكياً بل على الضد فيه روح وحياة .

هذا من جهة الذين يعيبون على العرب نقلهم عن غيرهم ، اما الذين يقولون بان العرب فضلوا ثقافة على اخرى فمخطئون ، وسنحاول تبيان رأينا بايجاز .

اختلفت اقوال علماء الغرب في أي الثقافات فضل العرب ، فقال كاجوري ان الكرخي وابا الجود والخيامي فضلوا الطريقة اليونانية على الهندية في استعمال الارقام . وقال كانتور بوجود مذهبين مختلفين (في زمن البوزجاني) احدهما يتبع الثقافة الهندية والآخر اليونانية . وقال احد علماء الغرب بان العرب تأثروا بالثقافة اليونانية وفضلوها على غيرها . وقال آخرون مثل ذلك في الهندية . والحقيقة انه لم يكن هناك تفضيل، فقد كان علماء العرب في العصر العباسي يترجمون ما يقع تحت ايديهم من المخطوطات هندية كانت او يونانية، فالبيروني ذهب الى الهند وساح فيها بقصد البحث والاستقصاء والتنقيب . وكذلك محمد بن موسى بن شاكر ذهب الى اليونان ابتغاء الحصول على مخطوطات ورسائل ، وهناك من العلماء العرب من اوجدتهم احوالهم الى ان يستقوا من ثقافتين او اكثر وقد مزجوا ما استقوا وكونوا من ذلك ثقافة خاصة وعلى هذا فلم تكن هناك فكرة تفضيل احدى الثقافات على غيرها بل جمع العرب الثقافات المختلفة التي نهلوا منها وخرجوا من هذا الجمع بثقافة تميزهم على غيرهم من الامم وقد لاحظ الدكتور سارطون كل هذا فقال : « ... والعرب لم يقتصروا على علوم اليونان فحسب، بل اخذوا عن الهنود وفي كثير من الحالات جمعوا بين الثقافتين الهندية واليونانية ...» وسبق الجاحظ الدكتور سارطون فيما قالوا فنجد في كتاب الحيوان ما يلي : « ... وقد نقلت كتب الهند وترجمت حكم اليونان وحولت آداب الفرس فبعضها ازداد حسناً وبعضها ما انتقص شيئاً ...». يتبين مما مرّ ان العرب لم يفضلوا ثقافة على اخرى ، ولم يأخذوا باحدى الثقافات ويتركوا البواقي ، انما هم طلاب علم راحوا يبحثون عنه في الكتب والمخطوطات والرسائل القديمة من يونانية وهندية وفارسية وحبشية وسريانية وعبرية وغيرها، فنقلوا ما عثروا عليه الى لسانهم وهو معظم ما كان معروفاً من العلم والفلسفة عند سائر الامم المتمدنة ، وكان اكثر نقلهم عن الفارسية واليونانية والهندية، وقد يكون النقل عن اليونانية اكثر ولكن هذا لا يعني ان العرب فضلوا ثقافة على غيرها . وعلى فرض انهم تأثروا بالثقافة الاغريقية فهل هذا يعني ان نية علمائنا الاقدمين تفضيلها على غيرها ؟ وعلى كل حال فالقول بان العرب فضلوا ثقافة على اخرى او القول بوجود مذهبين مختلفين احدهما يتبع الطريقة اليونانية والآخر الهندية قول خطأ لا يجب ان يؤبه له وهو من خيالات بعض المستشرقين ، اذ لا يوجد من الادلة ما يحققه بل على العكس لدينا شواهد عديدة تجعلنا نميل ايضاً الى القول بعدم وجود مذهبين مختلفين او مذاهب مختلفة ، وبان المآثر العربية في العلم والفن تأثرت بعناصر الثقافات المتعددة التي ساعدت على ايجاد ثقافة عربية لها ميزاتها وخصائصها الممتازة .

قدري حافظ طوقان — نابلس

مختارات لدي غول (١)

بقلم الياس ابو شبكة



ان قواد الجيوش الذين يتناولون القلم في سني الراحة والسلم لا يستهدفون عادة سرد الاحداث التي سايروها والوقائع التي عاشوها فحسب بل يستهدفون ايضاً وعلى الخصوص سرد الدور الذي مثلوه في هذه الوقائـــع وتلك الاحداث حتى ليكاد التاريخ يتمثل فيهم . وهم الى ذلك يناقشون ويدينون ويستخلصون ، شأن سول ومـــارمون ومكدونالد وسوشه وكوفيه سان سير وغيرهم وقدلا يندّ من هذه القاعدة قواد الحقبة الاخيرة الذين كتبوا فناقشوا ودانوا! واستخلصوا كفوش وجوفر وسواهما ممن اعجزتهم الغـريزة البشرية عن استثناء شخصياتهم واغراضهم حتى لتوشك مذكراتهم ان تكون اقرب الى دفاع منها الى تاريخ . اما مؤلفات الجـنرال دي غول التي جمع منها الاستاذ جان غولميه مختارات بليغة وقيمة واصدرهـــا اخيراً في بيروت فتختلف كل الاختلاف عن تآليف من تقدمه من رجال الجنــدية ، فهي فضلاً عن قوامهـــا الادبي الرفيع الذي يدرجه بحق في عداد اكبر المنشئين في هـــذا العصر تشتمل على فضيلة لم يعهد مثلها في اقلام من سلف من كتاب التاريخ العسكري ، وهي فضيلة المثقف الانساني ، فضيلة الرجل الذي تتجسد في شخصه جميع فضائل الامة التي انشأته وجميع مزاياها .

ولقد درس السيد غولميه تآليف الجنرال دي غول في كتاب صغير اصدره لاشهر خلت بعنوان « تآليف الجنرال دي غول » واكتفى في كتـــابه الاخـــير « مختارات لدي غول » بمقدمة ممتعة وبتوطئة قصيرة لكل من التآليف التي جمع منهـــا هذه المختارات . يقول السيد غولميـــه في مقدمته « ان هذه القطع المختارة وان تكن دون الكمال بمراحل الا انها ، على مـــا اعتقد ، ستحمل قراءها على الرجوع الى الاصول نفسهـــا حتى اذا الفوا فكرة الزعيم بكل ما تنطوي عليه من التنوع والاتساع والعمق ادركوا اي ادراك اي حظ كبير اعطيته فرنسا بوقوعها على رجل من هذا النوع في اشأم الكوارث . ويردنا صاحب المقدمة الى الفصول التي عقدها دهغول عن شقاء الجندي في كتابه « فرنسا وجيشها » ليتضح لنا ان زعيم فرنسا المحاربة الاريستوقراطي الروح والخلق والمختمر الناضج في التـأمل والتفكير ، يعرف ان التاريخ انما يتكوّن من اهواء الناس وآلامهم وان الناس هم الذين يعملون التاريخ مما يقضي حتما على جميـع المطامح المستأثرة . وفي هذا الكتاب « فرنسا وجيشها » ، هـــذا الكتاب الذي يشتمل على فصول خليقة بزعيم عريق في الانسانية والذي صدر في العام ١٩٣٨ ، اي في السنة التي قطعت فيها اتفاقات مونيخ الفاجعة الدليل على ضعف الجيوش الديموقراطية حيال القوة الالمانية الجديدة ولكن سوء الطالع ابى ان يصغى الى ما في هذه الفصول من التحذير — في هذا الكتاب يتبسط دهغول في ايضاح الفكرة التي المع اليها في احد فصول كتابه « نحو الجيش المحترف » وهي ان تاريخ فرنسا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ جيشها . قال : « ان حسن النية لا يكفي في الحرب بدون القوة المادية » . ففي جميع الاحوال التي انقطع فيها التعادل بين الهدف والوسائل ، اي في جميع الأحوال التي لم يتوافر فيها لتدعيم قضية فرنسا الا اداة عسكرية ضعيفة سواء في كريسي او في سيدان ، في شارلروى او في معـــارك ١٩٤٠ ذهبت جميع تدابير الفن ادراج الرياح واصلت سيف الخطر على كيان الوطن نفسه .

ويستطرد السيد غوليه في مقدمته الى القول بان هـذا الجيش الذي يخصه الجنرال ده غول باحترام يتجاوز كل حد لا يهمه بجد ذاته فحسب بل يهمه ايضاً وعلى الخصوص لان مصير فرنسا مرتبط ارتباطاً متيناً بمصيره ٠ ولذلك بحث دي غول في كتابه «فرنسا وجيشها» في ما هي احسن المزايا التي يجب ان يتحلى بها الجيش ليتمكن من ضمان استمرار فرنسا في الحرب المقبلة التي لا بد من وقوعها ٠ وخلص الى انها « العقل الراشد وقوة التمييز بدلا من القواعد او العادات المتبعة ٠ » وقد عقد تأييداً لرأيه هذا فصلاً رائعاً عن جوفر في المارن قص فيه ان هذا الاخير رأى خطته قد انهارت بسقوط الالزاس ، وامتداد حركة الالتفاف العدوة الى شمـالي الموز ، ووجود جيش الاحتياط الالمـاني في الخط الاول ، وفشل الهجوم الفرنسي في اللورين والاردين، وتراجع لانريزاك وفرنش اللذين طغى عليهما العدو بعد شارلروى ٠ ولم يكن يصل البريد ويقرع التلفون ولا يضع الضباط تقاريرهم الا ليحملوا اليه نبأ جديداً من الانباء المشؤومة ٠ وكانت موبوج قد استسلمت والانكليز يستعجلون في تراجعهم ، ولم يكن بالامكان التمركز على نهر الموز ولا على الاين ، فهل بالامكان التمركز على المارن ؟ قال : « كان من حسن حظ فرنسا ان جوفر الذي اساء اعمال السيف لم يفقد اتزانه ٠ فقد آمن في بادىء الامر بتعاليم المدرسة ايماناً كافياً ليحمله على اعتمادها ٠ ولكنه لما تبين له ان النجدة لن تصدر الا عن نفسه تحرر من القواعد واقـام شخصيته القوية في وجه الحدث ٠ وقد اتفق ان هذه الاخيرة كانت اصلح للتساط على بلبلة الساعات المشؤومة بالعقل الراشد وبالتشبث وحتى بطبيعة جسدية لا تتأثر بتقلب الاحوال ٠ ففي يوم شارلروى نفسه قرر خطته وهي تقوية اليسار دون مصلحة اليمين ورفض القتال ما دام



الجنرال شارل دي غول

ثمة سبيل الى ذلك ثم مهاجمة العدو على كامل الخط بدون تقيد ، فيتم له الصمود على الخط مهما كلف الامر ٠ وهو لن يـتردد في التضحية بميلهوز ، وفي سحب قسم من القوات التي تقاتل في اللورين ، والمخاطرة بخسارة فردون ٠ وسيصم اذنيه عن تفجع الوزراء ولا يعبأ بمخاوف باريس ٠ واذ يسد الثغر عادلاً عن الانتصارات المحلية فارضاً سلطته يثبت الارتباط بين الجيوش بحيث تتحول جميع هذه الجيوش عند اول امر يصدره وتضرب دفعة واحدة ٠ »

ويرد ده غول هذه القوة التحريرية في القائد الى السجيـة ٠ قال : « ٠٠ ولما كان استطاع الاسكندر ان يفتتح آسيا ، والقيصر

غاليا ، ولا كان غليله اثبت حركة دوران الارض ، ولا اكتشف كولمبس اميركا ، ولا عزز ريشليو السلطة الملكية ، ولا وضع بوالو قواعد الذوق الكلاسيكي ، ولا نظم كارنو النصر، ولااسس نابليون الامبراطورية ، ولا شق ده ليسبس القنال، ولا حقق بسمرك الوحدة الالمانية ، ولا رمم بيتان الوحدة الفرنسية في صميم الحرب ولا انقذ كليمانصو الوطن لو انهم انصاعوا الى نصائح دراية سافلة او الى الهامات تواضع ضعيف . بل ان الذين قاموا بجلائل الاعمال كثيراً ما اضطروا الى صرف النظر عن مظاهر طاعة كاذبة ، كبليسيه في سيباستوبول فقد كان يخفي في جيبه برقيات الامبراطور التهديدية كيلا يقرأها الا عند نهاية الامر ، وكلانزيزاك الذي انقذ جيشه بعد شارلروى بتوقيفه القتال بالرغم من الاوامر الصادرة اليه ، وكليوتي الذي احتفظ بكل مراكش في العام ١٩١٤ بالرغم من تعليمات رؤسائه . وبعد معركة جوتلاند البحرية والفرصة التي اضاعها الانكليز في تخريب الاسطول الالماني قال لورد الاميرالية الاول بأسف وهو يتناول تقرير الاميرال جلليكو : «انه متصف بكل مزايا نلسن عدا واحدة، فهو لا يعرف ان يعصى .» وبديهي ان فوز عظماء الرجال يتطلب مزايا متعددة . فالسجية اذا لم يرافقها شيء لا تخلق الا متهورين او عنيدين . ولكن اذا عكسنا الامر رأينا ان اسمى مزايا الفكر ليست كافية ، فالتاريخ يرينا الف امرىء اجدبت اعمالهم من جراء افتقارهم الى السجية . فهم وان اتصفوا باندر المواهب يلبثون منكمشين في الطبقة المتوسطة ، يجيدون الخدمة او الخيانة اما اجادة ولكنهم لا يبدعون شيئاً . ويختلطون بالاحداث من غير ان يطبعوها بطابعهم ، وهم معتبرون ولكنهم ليسوا عظماء ، ومفيدون ولكن بالامكان الاستغناء عنهم .»

وهكذا ينفي ده غول الاذعان للقواعد المتبعة في تسيير دفة الحرب ، فليس في الحرب نظام عام بل ظروف ومنفذون لا غير ، فما نجح ضد بنيديك وبازين احبطه جوفر .

ومنذ العام ١٩٣٠ ادرك الجنرال ده غول الطابع الميكانيكي الذي ستتسم به الحرب المقبلة . على ان هذه الفلسفة العسكرية التي ابدعها حاول بدون جدوى ان يتزل اقطاب الجندية الفرنسية ورجال البرلمان على الاعتراف بها واعتناقها ثم اثبت الاختبار فيما بعد انه هو المصيب وانهم هم المخطئون . وقد قال السيد غولميه في مقدمته : « انه لمن الامور الفاجعة ان يرى هذا الرجل الذي اهتدى في قلبه وفي ذكائه الى السر الذي يتوقف عليه خلاص فرنسا ومنه خلاص اوربا يصطدم في كل مكان بدعوى هؤلاء ولامبالاة اولئك . فروح من هذا المعدن تنعزل في زمن يسوده انحطاط الذكاء والعقل ، ولكن هذه الروح لا تلبث في اوقات الشدة وحين تخور قوى الجميع وتتلاشى ان تجد نفسها هي وحدها في مستوى الظروف واحداث الزمان . »

ولن نجد في هذا البحث المقتضب سبيلاً الى اظهار جمال اللغة والاسلوب الذي تفردت به هذه المختارات المفيدة . ونخشى اذا نحن عمدنا الى نقل شيء منها الى اللسان العربي ان نفقده تلك الروعة الانشائية التي لا يهتدى الى مصفّى لبابها الا في الاصل . فهذه المختارات حافلة بكل رائع في الصياغة وفي سمو الفكرة ، وجمال التصور والتصوير . واذا كان الشاعر هو الرجل الذي يجمع في نفسه ما تضطرب به نفوس الآخرين من نوازع واحاسيس ويجيد اخراجها بقوالب مشرقة من البيان فالجنرال دي غول ليس معلماً فحسب بل شاعر ايضاً . ففي الفصول المختارة عن « فرانسوى جوزيف » و « سجية القائد » و « نفوذه » و « الروح العسكري » و « جنود الجيش الكبير » و « غامبيتا ينقذ الشرف » و « لوفوى » و « كارنو » و « امثولات سيدان » وغيرها نفَس الاديب وحس الشاعر وخبرة العالم .

واننا لعلى اكبر من اليقين ان طلاب المدارس على اختلاف درجاتها يحتاجون الى هذه الفصول المختارة التي تمشي في حلبة واحدة مع اجمل ما اخرجته ادمغة النوابغ من رجال القلم .

الياس ابو شبكه

«1» Anthologie de Gaulle — Jean Gaulmier — Editions France - Levant 1942

برعم الورد

للدكتور حبيب ثابت

يا برعم الوردِ الذي لا يعي … سقيتكَ الهتانَ من ادمعي
نُشرتَ في الصبحِ على روضتي … ومُتَّ في الليل على اضلعي
تذبلُ من قبل سقوط الندى … في وجهك المستعذب الاروعِ
وكالرضيع الطفل من شدةٍ … يموت ظمآناً ولم يُرضع
تموت فوق الغصن من وردةٍ … حمراء مما كابدتْ لا تعي

*

عمرك عمرُ الصبح في اوجه … وفي شذاهُ الطيب الاضوعِ
وجيدكَ الناعم اذ يلتوي … ويختفي في جدولٍ مسرعِ
كجيد طفلٍ هلّ في بكرة … وغاب في الليل ولم يرجعِ

*

يا برعم الورد على كمه … تموتُ احلامُ الصبا الريّع
شممتُ منك الامس فوح المنى … يطوفُ حولَ البرعم الأبدعِ
ألمُ القبلةَ عن مبسم … مضرجٍ بالأحمر الأسفعِ

*

يرتل البلبل عند الضحى … صلاته في العالم الاوسعِ
ويوقظ الكون على صوته … وانت ذاوي الرأس لم تسمعِ

*

نثرت احلامي على برعم … في الورد من روض المنى الممرع
فهبت الريح على هولها … وولولت في عاصفٍ زعزع
وقلّمت ذاك الذي صنته … في جنتي الخضراء ، في مربعي

*

يا برعماً قد لونته السما … بقطرة من قلبي المفجع
تطيرُ احلامي بالوانها … وحزنها في مهمهٍ بلقع
تبحثُ في الدنيا ، وما تهتدي … وانت في عيني وفي مسمعي

مهنتي واثرها في بناء الامة
٣

المعلم

بقلم عبدالله المشنوق

كنت خارجاً من المدرسة ظهر يوم من ايام حزيران الحارة عندما استوقفني رجل ، اذكر اني اجتمعت اليه مرة او مرتين في حياتي ، وجل ما اعرفه عنه انه امّي طيب القلب متوسط الحال من عامة الناس .

قال : أود ان استشيرك في قضية يا استاذ !

قلت : تفضل !

وانتحينا ناحية من الرصيف ، وشمس حزيران تلفحنا باشعتها المحرقة ، فاندفع محدثي في استشارته غير مكترث للعرق الذي اخذ يتصبب من وجهي !

قال لي بعد مقدمات طويلة : لقد انهى ولدي دراسته الابتدائية في جامعة بيروت الاميركية فهل ترى ان يتمم دراسته الثانوية ايضاً ؟

فأجبته : ولكني لا اعرف المحروس ولدكم ولذلك يصعب علي ابداء رأيي في القضية . وبالمناسبة قل لي هل هو ذكي ؟ وهل لديه ميل الى متابعة التحصيل ؟

— الحق ان ولدي ذكي ومجتهد وراغب في العلم !

— اذا كان الامر كذلك ، فلا بأس بان يتابع تحصيله الثانوي!

اطرق محدثي قليلاً ثم قال بلهجة صادقة :

— سأعمل بنصيحتك يا استاذ ، وسأدخله القسم الثانوي ، فاذا نجح فيها فخير ، وان لم ينفع لشيء « عملناه » معلماً !.

هنا تكلل وجهي بالعرق البارد . لقد كانت الصدمة عنيفة حقاً ، فتفرست في وجه مخاطبي اقرأ في ملامحه فلم اجد فيهـا اثراً للتهكم او المداعبة . كان محدثي يخاطبني بجد وصدق وسذاجة بريئة !

شكرته واستأذنت وتابعت سبيلي وكلماته ترن في اذني « اذا لم ينفع « عملناه » معلماً ! »

التعليم مهنة الفاشلين في الحياة . هـذا هو الرأي السائد عند عامة الناس في بلادنا ، وقد اعرب عنه هذا الرجل الساذج بمنتهى السذاجة ، وهو رأي قديم تجد له شواهد كثيرة في كتب الادب . رحم الله ابا عثمان الجاحظ وغفر له ، الم يحشر المعلمين مع الحمقى والمغفلين فروى من صقاعاتهم الشيء الكثير وافرد لذلك كتاباً خاصاً ؟

ولكن مصلحة الاذاعة في راديو الشرق ترى غير هذا الرأي ، فهي احسن ظناً بنا — معشر المعلمين — من محدثي ومن الجاحظ ، وهي تذهب الى ان للمعلم اثراً في بناء الامة وقـد رغبت اليّ ان ابين هذا الاثر في هذه الدقائق المعدودة، على رأي صديقي المستشرق المسيو ديون — والمعدودات على رأي صديقنا الدكتور فياض !

ولو كلف معلم سواي ، ببيان هذا الاثر لانشدكم قصيدة شوقي :

قف للمعلم وفّه التبجيلا ... كاد المعلم ان يكون رسولا
أرأيت اشرف او اجل من الذي ... يبني وينشىء انفساً وعقولا

فالمعلمون — جميعهم — يرون رأي شوقي فيهم ويعتقدونه ولذلك فانك تجد هذه القصيدة منتشرة انتشاراً هائلاً بين طلاب المدارس يحفظونها ويرددونها في مناسبات كثيرة . ما اكثر الحفلات المدرسية التي حضرتها وقد تصدرها المعلمون فيقف احـد الطلاب وينشد هذه القصيدة انشاداً حماسياً رائعاً والمعلمون جلوس يهزون رؤوسهم اشارة الموافقة على اقوال الشاعر وامارات الاطمئنان والرضى بادية على وجوه بعضهم وامارات النقمة بادية على وجوه البعض الاخر الذي يرى ان شوقي لم يقـل الا بعض الحقيقة ! . المساكين ، لقد صدقوا ! . وصدق الجاحظ ! .

يعتقد الاستاذ هورن الاميركي ان العوامل التي تشترك في بناء حضارة الامم خمسة : وهي البيت ، المدرسة ، الحرفة ، الدولة ، المنشآت الدينية . ويرى الاستاذ هورن ان البيت والمدرسة عاملان

لا ينفصلان الواحد عن الاخر وان كلا منهما متمم للثاني وانهما الاساس في بناء الامم . فلسنا مغالين اذا قلنا معه ان بناء الامة قائم على البيت والمدرسة او على الام والمعلم . وهنا ارى من الضروري ان اميز بين ما يفهمه عامة الناس في المعلم وما يفهمه العلم الحديث : ليس المعلم ذلك المسكين الذي يفني عمره في نقل التراث العلمي من جيل الى آخر فيحشو ادمغة الطلاب بانباء أن واخواتها وقاعدة النسبة في الحساب او قواعد لغة اجنبية وانما المعلم هو ذلك الرجل الذي يكوّن شخصية الطالب خلقاً وعقلاً ، ينمي فيه الخصال الحميدة ويغرس فيه صفات الرجولة الكاملة وينقل اليه العلم بشكل نير يوسع مداركه ويفسح المجال لقواه الابداعية الكامنة بالظهور . فالتعليم شيء والتربية شيء آخر ، وعلى هذا الاساس نستطيع القول ان المعلم في بناء الامة ضئيل جداً اما المربي فله الاثر الاول في خلق الامة وتوجيه افرادها نحو مثلها العليا .

المعلم بمعناه الصحيح صاحب رسالة وعمله عمل روحي مقدس وهو في مرتبة الانبياء والمصلحين ، وقد اخطأ من وضعه جهلاً في زمرة المرتزقة من العمال . ألم يكن موسى والمسيح ومحمد معلمين ؟ أليس الله عز وجل مبدع هذه الكائنات معلماً ؟ .

سبحانك اللهم خير معلم ... علمت بالقلم القرون الاولى
ارسلت بالتوراة موسى مرشداً ... وابن البتول فعلم الانجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمداً ... فسقى الحديث وناول التنزيلا

خرج الرسول العربي محمد (ص) ذات يوم فرأى مجلسين في احدهما اناس يدعون الله عز وجل ويرغبون اليه ، وفي الثاني جماعة يعلمون الناس وانما بعثت معلماً . ثم عدل اليهم وجلس معهم .

وما كان سقراط العظيم الا معلماً يؤدي رسالة علمية نبيلة ورسالة خلقية انبل واعظم شأناً من الاولى ولقد استشهد في سبيل الرسالة الثانية .

سقراط أعطى الكأس وهي منية ... شفتي محب يشتهي التقبيلا
عرضوا الحياة عليه وهي غباوة ... فأبى وآثر ان يموت نبيلا
ان الشجاعة في القلوب كثيرة ... ورأيت شجعان العقول قليلا

أمثال هؤلاء المعلمين هم الذين نقصدهم في حديثنا وهم اصحاب الاثر في بناء الامة . وهنا نرى ان نوضح قليلاً علاقة المعلم بالمصلح فقد يكون المعلم مصلحاً وقد لا يكون على ان عمل كل منهما لا ينفصل عن الاخر ، فالمصلح هو الذي يضع الخطط التنظيمية الكبرى للامة والمعلم هو الذي ينفذها وينشىء الشباب عليها ويبث فيهم الروح الذي اراده المصلح .

ما أثر المعلم في بناء الامة ؟ اثر المعلم في بناء الامة اساسي شامل كل الشمول ، فالمعلم بالاضافة الى اثره العلمي الصرف — وهذا ثانوي جداً في نظرنا — ذو أثر روحي ، فهو يكوّن في الشباب صفات خاصة وصفات عامة مشتركة . فاما هذه الصفات الخاصة فتلخص في كلمة الرجولة باوسع معانيها : المعلم يخلق في الشباب روح العزيمة والجد والثبات والاعتماد على النفس والصدق والجرأة الادبية والتضحية والاخلاص والعزة والكرامة ويعودهم الدقة والملاحظة والانتظام واللطف وحسن المعاشرة فاذا كانت هذه الصفات الخاصة متوفرة فيه طبعت في الشباب عن طريق القدوة الحسنة والا اخرج للامة شباباً حائراً مخنثاً متواكلا تعمر به اندية اللهو والفساد .

فهو الذي يبني الطباع قويمة ... وهو الذي يبني النفوس عدولا
ويقيم منطق كل اعوج منطق ... ويريه رأياً في الامور أصيلا
واذا المعلم لم يكن عدلا مشى ... روح العدالة في الشباب ضئيلا
واذا المعلم ساء لحظ بصيرة ... جاءت على يده البصائر حولا
واذا اتى الارشاد من سبب الهوى ... ومن الغرور فسمه التضليلا
واذا اصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مأتماً وعويلا

أما الصفات العامة المشتركة فهي : الاتحاد ، والتضامن ، وحب الوطن ، والتضافر على خدمته ، والتضحية في سبيل المثل العليا التي تدين بها الامة وهذه كلها بديهيات يعرفها العامة قبل الخاصة .

هذه الصفات الخاصة والعامة لا تأتي الا عن طريق المعلم ، واذا وجدت في امة ما كان بناؤها قوياً وكيانها ثابتاً والا فهي خليط من المخلوقات الحية تعيش على هامش الحضارة العالمية .

يقول « لايتنيتز » مشيراً الى خطر المعلم في بناء الامة : « أعطوني زمام التعليم في اوربا عشرين عاماً وانا اجعل منها دولة واحدة متراصة البنيان » ولو سرحنا طرفنا في الامم الراقية القوية لوجدنا بناءها الشامخ من صنع المعلمين . هذه فرنسا ام الحريات أليس شبابها الا من نتاج اساتذة من امثال ذلك المعلم الذي وصفه الفونس دوديه في قطعته الخالدة « الدرس الاخير » La dernière classe ؟ وهذه بريطانيا أليس خلقها الجبار بما فيه من ثبات وصمود وقوة اعصاب وليد النظام التعليمي الانجلوسكسوني الذي عرف الفرنسيون اهميته في مدرسة « روش » التي انشئت في فرنسا على غرار النظام الانجلوساكسوني

ثم هذه تركيا الكمالية ، تركيا الفتية التي اخذت خيرما في

الشرق والغرب وجعلت انفسها كياناً دولياً تحسدها عليه امم كثيرة، هل هي وليدة النرجيلة والحمام والسراري ؟ ام هي وليدة المصلح اتاتورك واعوانه المعلمين ؟

وهذا العراق القطر العربي الشقيق هبطه فيصل الاكبر وكان فريسة للجهل والانشقاق فلم يبن مستشفى ولا برلماناً ولكنه بنى داراً للمعلمين واخذ يتخرج منها في كل عام نحو ثلاثمائة معلم يحملون رسالة فيصل الاصلاحية الكبرى ويجعلون من العراق الفتي :

امة تنشىء الحياة وتبني كبناء الابوة الامجاد

وعلام نتحدث عن الغرب والجيران فلنتكلم عن انفسنا : هل نحن امة وهل لدينا بناء قومي صحيح؟ كلا — وهنا يظهر اثر المعلم في بناء الامة — كلا لان ليس لدينا نظام تعليمي تهذيبي صحيح وجد ولا اداة صالحة (اي معلمون) لتطبيق هذا النظام فيما اذا وجد . لا تعجبوا اذا لم نكن امة متراصة البنيان ، بل اعجبوا فيما لو كنا امة اذ يستحيل ايجاد امة من غير طريق التربية الوطنية الموحدة الشاملة للبنين والبنات اي عن طريق المعلم الذي يؤدي هذه الرسالة .

تعجبين من سقمي صحتي هي العجب

تكاد معاهدنا العلمية — بما فيها من معلمين واساتذة — تشبه برج بابل فهي متباينة الاغراض والالوان والطوابع وكثير من المعلمين لم يحضر تحضيراً مسلكياً صحيحاً، وليس للتربية والتهذيب المكان الاول في اكثر المعاهد واذا كان للمدارس هدف معين ظاهر فهو حشو ادمغة الطلاب بالمعلومات استعداداً لسباق عظيم يجري آخر العام : سيرتيفيكا ، بريفيه ، بكالوريا .

اما الضحايا فثلاث : الشباب ، والمعلم ، والوطن .

اما المعلم فلا شك انه ضحية مهنة عاقة جاحدة كافرة ، ضحية نظام اجتماعي فاسد ، المعلم اشبه شيء بجسر يصل بين ضفتي نهر وعليه تمر افواج الناس من ظلمات الجهل الى انوار العلم ، وكل من يمر على هذا الجسر يصل الى الضفة الثانية . الجميع يصلون والجسر باق في مكانه لا يتزحزح . واخيراً يتداعى هذا الجسر وتتزعزع اركانه فينهار في الماء ولا يشعر به احد .

وينتقل الناس الى جسر اخر .

قف للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا

عبدالله مشنوق

التجـــارة

بقلم محي الدين النصولي

التجارة هي مهنتي التي ارتضاها لي سيدي ومولاي المرحوم ابي ولم يكن لي يد في هذا الاختيار، بل اعرف اني دخلت مدرسة الحقوق في باريس منذ عشرين سنة ورحت ادرس هذا الفرع بنشاط ولذة.

وفي صبيحة ذات يوم هبط ابي العاصمة الفرنسية وكان تاجراً نشيطاً خبر التجارة واتقن اساليبها، ورجلاً لم يعرف عنه انه غش او كذب او نشد الرزق غير الحلال، ورغب الي ان اقطع قناة المانش وان اصحبه الى لنـــدن حيث اتفق مع شركة انكليزية كبرى ان يبيع منها المحلات القطنية والصوفية والحريرية التي كان يعمل فيها وان يضع خدماته وخدمات شركائه تحت تصرفها لقاء راتب معين ونصيب معروف من الارباح.

وبعد ان وقع ابي العقد بينه وبين الشركة الافريقية التجارية المحدودة في لندن، وكنت اقوم بمهمة الترجمان بينه وبين اقطابها طيلة شهر او يزيد، اقام ابي حفلة في نزل «القراند هوتيل» في ساحة «ترافلغار» او الطرف الاغر ابتهاجاً بهذه المناسبة السعيدة دعا اليها نفراً من رؤساء الشركة والاصدقاء العرب، ونعمنا بليلة لا تنسى عرفت في الهزيع الاخير منها ان هنالك مؤامرة تحبك بين ابي وبين الاصدقاء الانكليز والعرب واني اصبحت تاجراً سواء اراقت لي الفكرة او لم ترق. فسلمت امري الى الله وشمرت عن ساعد الجد ونزلت الساحة يقود خطواتي فيها اب رحيم شفيق جمع الى الذكاء وبعد النظر الفضيلة وحب العمل.

للانسان المتمدن حاجات كثيرة منها الضروري ومنها الكمالي. فالضروري هو الطعام والشراب والكساء والمأوى، والكمالي هو طرفة تقتنيها، وسيارة فخمة تحملك الى حيث تريد وكتاب يكفي رغبتك الى العلم والمعرفة، ونحن لا نقدر ان نحصل على هذه «الثروة» الا اذا عملنا. ومما من ريب ان الامة كلما كثرت حاجاتها الاسيما الكمالية منها صعدت سلم الرقي واوغلت في المدنية. اما الامة التي تظل حاجاتها محصورة في نطاق ضيق كالطعام والشراب والكساء فهي امة متأخرة لم تتطور التطور الاجتماعي الكافي الذي يجعلهـــا تنعم بنعم الحياة وما اكثرها في هذه الايام!

حسبك ان تدير مفتاحاً ليغمرك الضياء، وان تتناول آلة صغيرة لتتصل بالبلدان النائية وتحدثها وتحدثك وان تضغط زراً لتستمع الى متحدث بكل لسان، ومغن بكل لحن، وهم يحدثوننـــا اليوم عن آلة جديدة سوف تحمل لك الصور كما تحمل الصوت فسنسمع غداً ونرى ٠١٠١ بعدغد فلست ادري ماذا سنشاركهم، ويخلق ما لا تعلمون. ان مهمة رجال الاقتصاد هي ان يرفعوا مستوى المعيشة يوماً اثر يوم وان يؤمنوا للاكثرية الســـاحقة من الناس مستوى يكفي الحاجات الضرورية ويتجاوزها الى الحاجات التي تجعل الانسان انساناً. فالعدل الاجتماعي يقضي بذلك وسنن الانسانية الجديدة تتطلبه ومن الواجب ان تثير لدى المواطنين شهوة الشراء الى اقصى حدودها كما يقول «فورد» المثري الاميركي الكبير لان مجاري الاقتصاد الجديدة التي تؤمن بالانتاج الواسع النطاق تؤمن ايضاً بالاستهلاك الواسع النطاق وتشجع الاستهلاك بالاعلانات على اختلاف انواعها وصورها وسبل الشراء المغرية التي طلعت بها على المستهلكين فسهلت لهم شروط الدفع على اقساط ضئيلة وطويلة الامد، اذ التوفير في هذه الايام جريمة لا تغتفر لان مرتكبها يوجد الخلل في التوازن بين الانتاج والاستهلاك واذا وجد هذا الخلل منينا بالشقاء والبطالة.

والتجارة هي التي تضع المنتج والمستهلك وجهاً لوجه، وهي التي تنقل الحاجة التي يتطلبها المستهلك من مكانها القصي الى حيث يشاء، وهي التي تثير شهوة الشراء لدى الانسان وهي تتضمن تاريخ المدنية من الوجهة التجارية فتدرس زراعة الامم وصناعتها وطرق المواصلات قديمها وحديثها ومراكز التجـــارة وكيف انتقلت من مكان الى مكان ونشوء الاستعمار والتوسع ونمو الشركات التجارية المختلفـــة وتنظيم الرأسمال واثر الرق والاكتشافات الجغرافيـــة والاختراعات التي زادت في الانتاج ناهيـــك ان التاريخ السياسي لاية امة من الامم متشابك الى حد بعيد مع تجارة هـــذه الامة وطالما كانت التجارة الحافز لعقد المواثيق السياسية والعامل الرئيسي لاعلان الحرب والداعي الى شد الامم بعضها لبعض ووضع قوانين دولية يحترمها الجميع.

قلنا ان تاريخ التجارة هو تاريخ المدنية وهو ينقسم الى خمسة عصور :

اولا — العصر الذي ادى الى انحلال الدولة الرومانية عام ٤٧٦ بعد المسيح .

ثانياً — العصر الذي امتد من هذا التاريخ حتى القرن الخامس عشر وشاهد الاكتشافات الجغرافية .

ثالثاً — العصر الحديث الذي اختتم باختراع اول آلة بخـارية عام ١٧٦٩

رابعاً — العصر البخاري الذي بزغ فجره باختراع «وات» المدهش .

خامساً — العصر الكهربائي الذي وضع في اثنائه اول سلك في اعماق المحيط الاطلسي عام ١٨٦٦ .

لو احببنا ان نلقي نظرة على نشأة التجارة الاولى لقلنا ان وادي النيل ولبنان وسوريا والعراق كانت ساحاتهـا الاولى . فالعرب والفينيقيون والاغريق كانوا يهبطون مصر ويزودونهـا بالرقيق والجلود والصمغ والخشب والتوابل والنـد والعنبر والبخور الى ان اينعت سوق التجارة في مصر كما انها ازدهرت حول دجلة والفرات فشاهد التاريخ بلداناً كاور لاريسا تتبادل السلع مع سوريا وارمينيا وخليج فارس والهند والصين وكان هنالك مؤسسة مالية تقوم مقام المصارف في هذه البلدان .

وقد لمع اسم « نينوه » وبابل في العراق وكانت طرق الملاحة كلها بين ايدي الفينيقيين كما كانت طرق المواصـلات العربية بين ايدي العرب واليهود وكانوا كلهم في خدمة بابل لانها كانت مركز الصناعة لا سيما بعد انهيار « صور » وكانت تصدر الى العالم الاقمشة القطنية الزاهية الالوان والصوفية والكتانية والسجـاد والانية البرسلانية والزجاجية الشفـافة المختلفة الالوان والروائح العطرية وغير ذلك من الاصناف التي يتعطش لاقتنائها العالم المتمدن ولسنا نغالي اذا قلنا ان كثيراً من الامم تعلمت اغلب صناعاتها من «بابل» التي كانت تحتل المركز الذي تحتله لندن او نيويورك في عالم المال اليوم وقد اكتشفت مؤخراً سجلات بعض البنوك في « بابل» دلت على المقام الرفيع الذي كانت تتمتع به هذه الحاضرة .

ومما لاشك فيه ان الفينيقيين الذين كانوا يعيشون على هـذا الساحل الذي نعيش فيه اليوم كانوا اعظم امة عملت لرفع مستوى التجارة في الشرق القديم فهم قد وجدوا على هذا الشاطىء البقعة الطيبة والجسر الذي يصل الشرق بالغرب .

لقد دعت هذه الطبيعة الخيرة الفينيقيين الى بناء السفن وركوب البحر والاخذ بناصية صناعات كثيرة كانوا يغذونها بالمواد الاولية عبر البحار .

كانت صيدا او صيدون الثغر الهام الذي ملك زمام التجارة طيلة قرون فقد قفز ابناؤه الى قبرص حيث وجدوا عروق النحاس والفضة والحديـد وخشب الصنوبر والارز وهبطوا « رودس » وكريت وغيرهما من الجزر المتاخمة ونزلوا شواطىء اليونان وتوغلوا في البحر الاسود وسيطروا عليه .

وعندما بدأ نجم صيدا بالافول بدأ نجم صور بالصعود فتوجه الصوريون غرباً ونزلوا اسبانيا واسسوا فيها « قادش » و«طرطوشه» وغيرهما من المرافىء التجارية وتوجهوا الى « صقلية » وساردينيـا وجنوب فرنسا وشمال افريقيا سعياً وراء المواد الاولية التي تحتاجها صناعة التماثيل النحاسية والآنية الجميلة التي تفردوا بصنعهـا حتى اصبحت صور اعظم مدينة تجارية في العالم .

وفي القرن السابع للمسيح دوى في مكة صوت اهتز له العالم ذلك كان صوت محمد نبي الله ورسوله والرجل الذي عانى التجارة في شبابه فاتاحت له هذه المهنة ان يعجم عود النـاس وان يتعرف الى اعماق النفس الانسانية وان يؤدي رسالة ربه فيجمع القبائل العربية ويقذف بها نحو المشرق والمغرب .

لقد بنى الاسلام مدناً زاهرة مدنياتها خالدة ابد الدهر وصناعتها طرفة في الاتقان والجمال والانسجام وتجارتها مورقة الظلال تؤمن العيش الهنيء والحياة الناعمة والاجواء العابقة بالند والبخور .

وهكذا عرف العالم دمشق وبغداد والاسكندرية والقاهرة والقيروان وهكذا عرفنا قرطبة وغرناطة واشبيليه وطليطلة .

وكان الاسلام ولم يزل يحض على العمل ويحبب الحيـاة الى الناس ويوصي القرشيين الا يغلبهم احد على التجارة لانها ثلث الملك فيخرج المسلمون الاولون وهم عازمون على ان لا ينسوا نصيبهم من الدنيا فبنوا المدن التجارية العظيمة التي ازدحمت بالسكان وكثر فيها الاخذ والعطاء حتى ان بغداد كانت تعد في ايام مجدها مليون نسمة وكانت طرق مواصلاتهـا المائية والبرية تتشعب الى اكثر نقاط المعمور، الى الهند والصين وافريقيا وارمينيا وروسيا واسبانيا والاقطار الواقعة على بحر « البلطيق » وكانت تجارتها ترتكز الى البلدان الصناعية الناشئة في الامبراطورية العربية وخارجها كالموصل وسيراف وبلخ وكابل وغزنـة وبخاري وسمرقند والبصرة والاسكندرية والقاهرة والقيروان وفاوس والبلدان الاسبانية .

واذا اردنا ان نلقي نظرة على اسبانيـا حيث تدل آثار العرب على المدنية الرائعة التي وصلوا اليها لوقفنا مدهوشين حاسري الرأس

تطوف بنا الذكريات الخالدات وتهيج اشواقنا الى الآباء والجدود هذه الدور المشيدة وهذه المآذن المنطلقة الى السماء وهذه الحانات التجارية العظمية وهذه البيئة الجميلة الفتانة التي تنم عن ذوق سليم وترف ليس بعده ترف ورفاه لا يعادله رفاه القرن العشرين .

ألم تكن صناعة قرطبة وتجارتها زاهرة زاهية وجلودها تصدر الى جميع اقطار المعمورة . ألم تكن اسلحة طليطلة من امضى الاسلحة ، واصواف « مرسيه » و« سلمنكه » من اجود الاصواف ؟ لم يكن حرير غرناطة خير حرير تباهي به الاندلسيات غانيات العالم ؟

واذا ازدهرت التجارة في عهد العرب فذلك لان العرب كانوا يؤمنون « بالباب المفتوح » كما كان يؤمن به البريطانيون لسنوات أخلت وكانوا يسهلون سبل التجارة ولا يضعون في وجهها العراقيل ولا يرهقونها بالضرائب والرسوم والمكوس والحواجز بل كانوا يشقون لها الطرقات ويحافظون على حبل الامن في البلدان ويقيمون العدل ويتخذون نقداً دولياً يتداوله الجميع .

هذه لمحات تاريخية سريعة عن اثر التجارة في بناء امم عرفت تاريخها السياسي وكان في جملة اسباب ازدهار ملكها واندثاره عنصر تجاري يجد يراه الباحث مطولا في بطون التواريخ .

والحقيقة الواقعة تقضي علينا الآن بالتساؤل عما كان يحل بالعالم لولا التجارة ؟

هل كنا نتنعم بما ننعم به من حاجات كثيرة تزيد يوماً اثر يوم وتدفع الواحدة الاخرى ؟

هل كان هنالك منشآت للبرق والبريد والتلفون والراديو ؟

هل كان هناك شبكة من الطرق البرية والسكك الحديدية والجوية والخطوط البحرية ؟

هل كان هنالك ما ندعوه بقناة السويس التي اختصرت الطريق بين اوروبا والشرق الاقصى ؟

هل كان هنالك هذه المؤسسات المالية الهائلة التي تمدك بالمال بشروط سهلة وتمهد لك سبل العيش المنتج ؟

هل كنا نفتخر بجاليتنا العربية على وجه عام وجاليتنا اللبنانية على وجه خاص في الاميركيتين وافريقيا واستراليا لولا التجارة وحب الكسب والمغامرة ؟

ان تاريخ التجارة هو تاريخ الانسانية وهو تاريخ المدنية منذ عهد المقايضة حتى عصرنا الحاضر عصر البخار والكهرباء والتعاون الوثيق بين الافراد والامم .

واذا اردنا ان نعين القيم الاخلاقية والرأسمال المعنوي في التجارة لقلنا انها تلعب على نقيض ما يعتقده البعض باطلاً وبهتاناً دوراً رئيسياً في نهضة الامة وبناء مرافقها العامة فالتجارة بقطع النظر عن الرأسمال المادي الذي يملكه التاجر مهما بلغت ارقامه تستند قبل كل شيء الى المبادىء الرفيعة والاخلاق العالية والمعاملة الحسنة ناهيك ان التجارة اصبحت ساحة يجب ان يتسلح لها الشباب بالعلم الوفير والدقة المتناهية والنشاط الجم وان يحسن تكييف تجارته حسب مقتضيات هذا العصر ، عصر السرعة والتطور الخاطف في العالم كله .

كلا ايها السادة .

ليست التجارة مساومة ، وليست ترتكز على الحظ وليست اتكالية ولكنها اصبحت مهنة لها قوانين ونظم ومبادىء وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمكانة الامة وسمعتها ويسرها ورخائها وعلى قدر ما تكون نظيفة اليد ناصعة الجبين اكتسبت ثقة الامة وشاطرتها رساميلها وما احوجنا نحن الى هذه الرساميل فكم هنالك من تاجر بفضل استقامته وشرفه التجاري استطاع ان يشق طريقه في الحياة فساهم في رفع مستوى الامة وجعل في مقدورها ان تقبل على الحياة وان تنعم برفاه القرن العشرين .

هذه هي علاقة التاجر ببناء صرح الامة في التجارة الخارجية وهو من الوجهة الداخلية وازع اخلاقي فكم من تاجر شريف عودك الصدق ومحضك النصح فاحببته واقبلت عليه وذكرته بالخير وهو اذا اقبلت الدنيا عليه وهي لا شك مقبلة على الشريف الصادق استوحى شرفه التجاري وساهم في اعمال البر والاحسان وكان عاملاً حياً في بناء الامة .

ايها السادة .

ان التاجر كما افهم ليس هذا الذي ينطوي على نفسه ويعيش لصندوقه ودريهماته انما هو ذلك الجواب الذي يرتاد لاسواقه خير السلع ويفتح الافاق التجارية في وجه امته فهو يصدر ويورد : يصدر خير ما تنتجه من ثروة وعلم وفضل ويورد اليها مبدأ الانعتاق من قديمها والاقبال على جديد العالم مضيفاً بذلك لبنات في بناء الامة وتكوينها .

ايها الشباب !

ان في التجارة لافاقاً واسعة ، وان فيها لربحاً جزيلاً للرجل الكفء الشريف وان فيها لمساهمة فعالة في رخاء الامة والقضاء على جراثيم الفقر والمرض والجهل فيها فاقبلوا عليها بارك الله بكم وعليكم .

محي الدين النصولي

٥

الموظف

بقلم امين مشحور
مدير الدوائر العقارية

اولتني ادارة الاذاعة العربية في الشرق شرفاً اثيلاً اذدعتني للتحدث اليكم وجيزاً عن اثر مهنتي في بناء الامة، فأنابتني عن زملائي عمال الدولة، وكلهم كفؤ للتحدث اليكم باحسن ما يقال في هذا الموضوع .

وها انذا احاول القيام بهذه المهمة على وجه لا ينكره اخواني الموظفون، ويحسن في عين الادارة الكريمة، مستعيناً بخبرة نيف وعشرين سنة طويتها في خدمة امة عزيزة محبوبة، وبالاثر الطيب الذي تركه في قرارة نفسي رجال اكفاء اعفاء تقدموني في هذا السلك الشريف فكانوا لي منارة وضاءة ومثلاً حياً يقتفى اثره .

لقد سمعت مراراً بعض الزملاء يرددون في ساعة شقاء ومحنة — وما اكثر هذه الساعات عند الموظف — : لو اتيح لي ان اعود القهقرى الى بدء حياتي العملية، اذن لاخترت غير الوظيفة مهنة .

اما انا فأقول في صراحة تامة، وبالرغم مما لقيت وألقى كل يوم من دواعي الالم المرير : لو اني اعود الى مطلع الصبا وفجر الحياة فاخيّر في مهنة ازاولها، لما اخترت غير الوظيفة مهنة .

هوى في النفس، مستقر في اعماقها، لا يمت الى الزهو والخيلاء بصلة، ولا ينحت صلابته الم عارض او شقاء مستمر، مصدره عقيدة راسخة بان الحياة لا تقاس بمال ضخم، ولا بجاه عريض، انما هي تقاس بمقياس الهدف الذي ترمي اليه، والغاية التي تنشدها، فكلما سمت الغاية، وأشرق الهدف، استنارت الحياة وفاضت شرفاً ونبلاً . واي هدف اسمى وانبل، واية غاية اجل وألمع من خدمة بلد تظلنا سماؤه، وتروينا عيونه، ويغذينا هواؤه، وفي طيات ثراه ترقد عظام ابائنا الاول .

يخيل الى العامة، ولا يتنزه عن هذا الوهم بعض الخاصة، ان الوظيفة انما هي ملجأ لعجزة الجسم والعقل والروح، يأوي اليه كل منبوذ من سبل الحياة الصاخبة الرحبة، ليستر وراء جدرانه عاماً ناقصاً او معرفة محدودة او همة خاملة او صدراً ضيقاً .

كلا ثم كلا ! ان الوظيفة آثر واجل من اية صنعة او مهنة، انها رسالة سامية يؤديها نحو الجماعة في ايثار وتضحية، نفر من ابناء الامة توسمت فيهم العلم والاخلاص فدعتهم الى خدمتها، ووكلت اليهم شؤونها واولتهم حق وضع الانظمة وسن الحدود ضمن نطاق الشرائع العامة، ثم كلفتهم انفاذ احكام هذه الشرائع وهذه الانظمة، على وجه يحفظ كيان المجموع ويضمن حقوقه ويرافقه ويكفل سلامته ويصون كرامته .

وما الحكومة الا هذه النخبة المصطفاة، اصحاب الوظائف العامة من رئيس الدولة حتى الحاجب الوضيع، وهي تقوم على دعامتين : اشتراع صحيح واف لحاجات الامة، متفق وطبائعها ملائم لاهدافها — وانفاذ دقيق منزه لهذه الشرائع .

لا اتناول البحث في الاشتراع ومدى اثره في تكوين الامة، لانه في الاصل من عمل النواب المنتخبين او المعينين، لا شأن فيه للموظف، وان تولاه عرضاً في ظروف استثنائية .

بيد انني لا اتردد في القول بان مهمة الموظف، من حيث هو القيم على انفاذ الشرائع لهي ابعد اثراً من مهمة المشترع نفسه .

ذلك لان اوفى الشرائع احكاماً، لا تصلح الا بمقدار ما يصلح انفاذها، ولكم انقلب القانون، على صراحة نصه وعدل احكامه، شراً من الفوضى اذا ما تولى فرضه موظف جاهل، ضيق الصدر، سيء العقيدة، ضعيف الوجدان، اذ يفسد احكامه ومراميه ويجعل منه وسيلة ارهاق وسوء استعمال، فيؤول الامر حتماً الى فقدان الثقة بالشريعة نفسها وبالحكومة التي تفرضها، والثقة الراسخة التامة هي العنصر الاساسي في توطيد العلائق المثمرة بين السلطة الحاكمة والشعب . وان امة تسرب الشك الى نفسها من صلاح الشريعة، وضعفت ثقتها فيمن يحكمها، لهي امة

قد ذهب ايمانها في صحة كيانها نفسه وفي بقائها كأمة .

اما وهذا مبلغ اثر الوظيفة فقد اصبح لزاماً على اولي الامر التحري الدقيق عن مؤهلات الموظف فلا يولون شرف الخدمة الا من توفرت فيه ثلاثة شروط اساسية اولها اطلاع تام على احكام الشرائع والقوانين والانظمة التي يكلف تطبيقها . ومرونة كافية للاخذ بروح القوانين . لان الشريعة ، مهما بلغ كمالها ، لا تستدرك كل الوقائع والظروف الطارئة ، وثانيها : الفضائل النفسانية اللازمة للمهنة Conscience professionnelle ويدخل في نطاقها : النزاهة وعفة اليد ، وطول الاناة ، وخلوص النية والوجدان . وثالثها — وهو عندي اعظمها شأناً — الايمان الحي والاعتقاد الراسخ في انه — اي الموظف — لا يزاول مهنة كسائر المهن بل يؤدي رسالة عليا ، وانه يساهم مباشرة في كل ما يلمّ بالحياة العامة وانه مصطفى من الامة لخدمة الامة .

واني لأرى ان من حسن الرأي والتدبير ان يهيأ للوظيفة اربابها على نحو ما يهيأ لسائر المهن الحرة ، الا ترى الطبيب والمهندس والمحامي لا يزاول احدهم مهنته الا بعد الدرس الشاق والامتحان ، ثم المران الطويل تحت اشراف دهاقنة الصنعة وائمتها ، والوظيفة هي كما سلف القول ، مهنة لا تقل شأناً عن سواها ، لا بل تتجاوز خطورة سائر المهن لارتباطها الوثيق بحقوق الناس واموالهم واعراضهم ومرافقهم ونواحي حياتهم على اختلاف مظاهرها ، ثم لبعد اثرها في النتيجة في كيان البلاد على الاطلاق .

اني وقد وصلت الى هذه النقطة ، المس موضع الالم ومثار الشكوى ، والحق يقال بان الامر حري بالنظر .

ان كل صاحب مهنة يتوسل بوسيلة خاصة بها لجمع المال استمتاعاً بملاذ الحياة ، حاشا الموظف ، فسعيه ابداً موقوف على خدمة المصلحة العامة لقاء بلغة العيش لا يتجاوزها الى بعض البحبوحة الا فيما ندر .

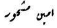
ان للامة على الموظف حقاً لزمه يوم تقيد مختاراً في خدمتها ، فهي تطالبه بالعلم والاخلاص والتجرد الى حد الايثار ، لها قلبه النابض ، وعقله النير ، وارادته الصلبة ، وعضله المفتول .

تقول للقاضي : هات معرفة واسعة وارادة حديدية وترفعاً عن الغايات ، وحياة شخصية منزهة ، واحكم بين الناس بلا هوى ولا هوادة ، سيان عندك من حكمت له او عليه ، قريباً كان او غريباً ، صديقاً او عدواً . وتقول للشرطي : هات ساعداً قوياً وجناناً حاضراً وجد في طلب السارق والمختلس والمتشرد والمعربد ، وسيان اصبت بطعنة خنجر او برصاصة مسدس فتركت ارملة وايتاماً ، انت مقيد بخدمتي انا الامة . وتقول لمأمور المال : افرض المكوس على اخيك وجارك كما تفرضها على غريب او عدو ، بلا محاباة ولا تفريق ، كلهم في نظر القانون واحد . وهكذا دواليك . فاذا عمل كل منهم بما يقضي به القانون — كما هو المفروض في الموظف الامين — سارت الامة في طريقها الرحب ، مطمئنة الى مصالحها ، ناعمة البال ، قريرة العين ، وادت المفروض عليها عن طيب خاطر ، اما اذا اخل الموظف بواجبه او اساء استعماله ، اضطربت صفوف الامة وغشيها الريب ، وتفشت الفوضى وتعالت الشكوى ، وانكمشت الايدي على المال لا تؤديه الا مضطرة وعلى مضض واصبح بناء الامة عرضة للانهيار اذا لم تسرع السلطة الى قطع العضو الفاسد بلا تردد ولا رحمة .

بيد ان للموظف ايضاً على الامة حقاً صريحاً : ان يعيش موفور الكرامة في شيء من البحبوحة وان يمسي مطمئناً الى يومه ، امينا الى غده ، ساعة يكل ساعده وتضعف قواه فيدلف الى الشيخوخة .

واني لاسائل ابناء الامة هل هم ضمنوا له هذا الحق كاملاً ، وهل هم اوفياء لعهدهم معه بمقدار ما يلجون في مطالبته بحقهم عليه ؟ .

ان بين الامة والموظف عقداً صامتاً لتبادل الحقوق والواجبات ، في توازن دقيق . كما هي الحال في كل انظمة الكون ، فما دام التوازن قائماً بين الطرفين اي ما دام الموظف حريصاً على اداء واجبه والامة امينة على توفير اسباب الحياة والكرامة لخادمها المخلص ، توطدت دعائم المجتمع على اساس متين وانصرفت الامة الى مصالحها ، واثقة من مقدرات البلاد .



فن القراءة

بقلم بهيج عثمان
ليسانسيه بامتياز في الآداب من جامعة فؤاد الاول

قليل اولئك القراء الذين يجلسون امام ما يقرأون جلسة صداقة وصفاء ليمتعوا انفسهم بالقراءة متعة حلوة ويحسوا بتجاوب لذيذ مع تلك السطور التي تنوب عن كاتبها في هذه العزلة ، فقد تعود القارىء ان يؤدي واجباً ، وهذا الواجب هو اجتياز المسافة بين دفتي الكتاب باقصر ما يمكن من الوقت ، واستيعاب المعاني الظاهرة ، والافكار العامة بدون عناء او تأمل . وهل القراءة الا فن جميل يحتاج الى ما تحتاجه الفنون الجميلة من مران وتذوق ؟ وهل القراءة الا فن جميل ، لا يتذوق جماله ولا يعجب بروعته ، الا من راض نفسه على تذوق ذلك الجمال وهذّب شعوره للانسجام الوثيق مع ذلك الفن ؟ وما الفرق بين من يتغنى بالموسيقى وبين من يتمتع بالكتاب؟ هذا لا يستطيع الفهم ، ولا يدرك الاحساس بجمال ما يقرأ الا بعد ان يتعود القراءة .. القراءة الهادئة اللذيذة الفنية .. وليس قراءة الكتاب الذي تفرضه المدرسة على الطالب وترغمه على الامتحان في صفحاته اذا ما جاء وقت الامتحان ..

وذاك لا يردد الموسيقى ولا يستعذبها الا اذا فهم معانيها التي تحمّل ، وألحانها التي منها تتكوّن ، والا اذا اخذ نفسه على هذا النحو من اللذة الفنية . وبالرغم من ان الامية التي تنتشر في بلادنا العربية تمنع فريقاً كبيراً عن الاستفادة بالقراءة فانه ما يزال امام الذين يستطيعون القراءة موانع تدفعهم عنها :

فمنهم من لا يكاد يحس بحرارة النجاح التي تبثها في نفسه تلك الشهادة التي نالها حتى يطوي كتابه ويودعه وداعاً ليس بعده لقاء .. ومنهم من استهواه نوع خاص من القراءة الرخيصة فيتسلى باخبار الصحف اليومية ، وصور المجلات . فاذا اراد ان يشغل وقت فراغه بالقراءة فليس يختار الا الروايات التي تثير نزعات دنيا في الانسان ، او التي تصور مفاجآت بوليسية . ومنهم من رأى في « الراديو » خير خلف لتلك الصحيفة لما فيه من جدة وتنوع وتشويق . ثم فريق ضئيل لا يزال يؤثر القراءة الهادئة على كل منافساتها او قل يشاركها مع منافساتها . فهل يستفيد هذا النفر القليل من قراءتهم وهل يعالجون فن القراءة ويفهمونه كما ينبغي ان يعالج ويفهم ؟

اول ما يعترض القارىء العربي هو اختيار ما يقرأ . فمما لا شك فيه ان عمر الانسان اقصر من ان يسمح لصاحبه بقراءة الروائع من المؤلفات . واذن فلا بد من الانتخاب . وهنا مجال واسع امام القارىء . ففي لغات العالم الاخرى يستطيع القارىء ان يستهدي باقوال النقاد وتوجيه المفكرين ، اما قارىء العربية فعليه ان يقوم بنفسه بمهمة الناقد ، لان الناقد الهادي الذي يستطيع القارىء ان يعتمد عليه لم يوجد بعد ... فالى ان يوجد نقاد يقدمون للقراء في كل اسبوع خير ما انتجه الفكر ، لا بد للقارىء ان يجازف فيستعين باسم الكاتب الذي يزين صفحات الكتاب الاولى او يستعين بجمال العنوان واغرائه .. فاما ان يخيب الاسم المشهور امله بعد ذلك اولا ، واما ان يجد ما يدل عليه العنوان الضخم او لا يجد . وهكذا فرض على القارىء ان يضيع وقته بقراءة كل ما يقع بين يديه من كتب لفلان المؤلف ، او في ذلك الموضوع المرغوب ، سواء كان قيماً او غير قيم .. وهذا حسن اذا حاول القارىء ان يحصر نفسه في طبقة معينة من المؤلفين ، او في موضوعات خاصة تعنيه . فان في هذه المحاولة نوعاً من الضمان وان لم يكن ضماناً مؤكداً . ولكنني ما سمعت شخصاً يطلب من مكتبة آخر كتاباً ، اي كتاب لا يحدد ولا يخصص ، الا جزعت ، كأن هذا القارىء ليس لقراءته هدف ، انما هي قراءة وحسب ... اليست تقتل الوقت او تملأ فراغه ؟؟

وبعد ان يقطع القارىء طور اختيار ما يقرأ ، عليه ان يهيء الجو المناسب مع الموضوع الذي يتناوله بالقراءة . فمن الموضوعات الخفيفة المرحة التي لا تلذ قراءتها ولا تستساغ الا في اجواء مرحة منطلقة ، ومن الموضوعات ما هو متزمت يحتاج الى تأمل فاذا لم يعد له جو يساعده على التأمل والتفكير فان القارىء يظلم موضوع قراءته ويضيع وقته معاً . وان من الموضوعات ما يقرأ وانت راكب في القطار تمتع نظرك في مقطع من الكتاب تارة وتمتع نظرك في مقطع من الارض من نافذة القطار تارة ثانية . ومنها ما يقرأ وانت مستلق في الفراش او على مقعد وثير ، ومنها ما يطالع في الحديقة بين الاشجار الوارفة حيث هدوء الطبيعة وجمالها ، ومنها ما لا يهضم الا على مكتبك بين الكتب المكدسة وبعد اغلاق باب الغرفة ...

وطبيعي ان من لا يهتم بادوات القراءة الخارجية هذه ، انما يساعد على خنق الموضوع الذي يقرأ ويبتعد عن الاستمتاع به استمتاعاً كاملا . وانت تستطيع ان تتصور الى اي مدى يبلغ الاضطراب بالقارىء اذا طالع كتاباً يبعث اللذة والبهجة في بيئة طرأ عليها طارىء محزن كئيب او اذا طالع كتاباً دقيقاً وهو في نزهة

يقوم بها في القطار .

وقد يوجد قارىء لا يتأثر بالجو الذي حوله اذا ما فتح كتاباً، ويستطيع ان يملك نفسه عن ان تتصل بمن يجاوره من الناس، فيغيب عن عالمه، وينسجم مع ما يقرأ انسجاماً كاملاً، فيقرأ كتاباً تدور موضوعاته عما وراء الطبيعة في مقهى يشتد فيه الصخب والضجيج، ولكن هذا ذو مزاج خاص نادر .

فاذا ما انتهى القارىء من تهيئة الادوات الخارجية وفتح كتابه فاما ان يسرع في قراءته اسراع متسابق، واما ان يتمهل ويبطىء . والاسراع نوع خطير من الكسل الذي يعتري القارىء لانه يظن ان امامه هدفاً واحداً هو الوصول الى آخر كلمة من كلمات الكتاب . فيقلب الصفحات سريعاً ويتناول خطوط الافكار الكبرى بدون ترتيب او نظام . ويبدو لي ان اكثر امراض القراءة انما تنشأ عن الرغبة في السرعة . فمن السرعة ينشأ مرض كثرة القراءة والكثرة المضطربة التي لا يقيدها نظام، بل قراءة كيف ما اتفق، قراءة فلسفية مرة، وقراءة تسلية مرة، وقراءة في علم الاقتصاد مرة ثالثة، يقرأها القارىء كلها ولكنه لا يخرج منها بشيء ناضج . وهكذا يتولد عند البعض شره في القراءة لعله اشد خطراً من عدم القراءة . وهذا الشره يصبح مهنة لا يستطيع صاحبها ان ينظمها ويستغلها استغلالاً مفيداً، بل التهام سريع لما تقدمه اليه مائدة الكتاب، فلا يستطيع له هضماً ولا تمثلاً . وهنا ينشأ مرض آخر هو الغاء عقل القارىء عند القراءة فان السرعة والشره يتطلبان من العقل ان يسرع، ولكن العقل لا يستطيع ان يرافق هذه السرعة دائماً، بل طبيعته الهدؤ والاتزان والحكمة، فيضطر الى ان يتخلف عن متابعة القارىء المسرع الجامح، واذا القارىء بعد قليل يقرأ بدون تفكير، واذا هو آلة صماء لا تدرك ما تفعل ولا تفهم ما تنقل، واذا المعاني تخطر عليه خطوراً رفيقاً كما تخطر الاحلام على النائم لا تلبث ان تزول وتتلاشى . وفي هذا الكسل العقلي والاستسلام الغامض شيء من الراحة يطمئن بها الانسان ويميل اليها .

وما الكتاب الا صديق يجلس اليه القارىء يبغي عنده المتعة الفنية، والترف العقلي، فيأخذ منه القارىء عندما يريد، ويرد اليه ما لا يقبل منه، على نحو من الفهم الصادق والمناقشة البريئة، ويصحبه ساعة او ساعات صحبة لا تكلف فيها ولا ملل منها رفع فيها ستار المجاملة، وتناجى القارىء مع كتابه مناجاة صافية مفيدة — فلا الكتاب يفرض آراءه على القارىء فرضاً، ولا القارىء مرغم على قبول شيء مما يعرض عليه . فاذا ما انتهى القارىء من صحبته فعليه ان لا ينسى هذه الساعات وما اثارت فيه من افكار . صحيح انه اغلق الكتاب ولكن آثار القراءة يجب ان يمتد وقتها الى اقصى ما يمكن، فتحيا فيه ويحيا فيها فترة من الزمن : يناقشها في هدؤ ويفيد منها ما يفيد، وتثير في نفسه حياة فكرية نشيطة . وان الكتاب الذي لا يدع قارئه يفكر فيه بعد فراقه، ليس بكتاب قيم، كما ان الصديق الذي ينسى بسهولة ليس صديقاً . وان الكاتب الذي لا يسمح لقارئه ان يولد افكاراً من فكرته وآراء من رأيه لا يفيد قارئه فائدة واسعة . والقارىء اخيراً يستطيع ان يستغل هذا القسم الذي يتركه له الكاتب فيولد من افكار الكتاب ويخترع . وما اكثر ما تهدي لمحة عابرة في كتاب الى انتاج تحفة خالدة . فاذا كان القارىء في قراءته فاعلاً لا منفعلاً ومؤثراً مع تأثره فقد تخلص من تقييد العقل وتوسيع خزانة الذاكرة ومن تكديس لآراء الاخرين فيها . والقارىء امام كتاب قديم شخصية جديدة اشد تعقداً، فعندما يقرأ القارىء شعراً قديماً عليه ان يقرأ بعقله الحديث الذي يحتفظ بكل الخصائص التي اتيحت له من ثقافات مختلفة، ولكن على ان لا ينسى ان ينتقل بكل هذه الخصائص الى البيئة القديمة التي عاش فيها ذلك الشاعر وان يعيش معه، وبذلك يشعر بلذة مزدوجة . واذن فلا بد لقارىء الاثر القديم من شيئين يبدو عليهما التناقض، ان يقرأ بعقله الحديث لا بعقل القدماء، على ان يكلف القدماء بما لا يسمح لهم عصرهم ان يتحملوه .

فهذه القدرة على ان ننتقل ونبقى، وان نعيش في الزمن القديم ونحن نعيش في العصر الحديث وان نمحو الزمن ونلغي الفروق مع احتفاظنا لها، كل ذلك شرط اساسي في قرائتنا للاداب القديمة ينقص الكثيرين من الذين يقرأون هذه الاداب ويحاولون عرضها . واحسن من يعرض الادب اليوناني والادب اللاتيني من المحدثين هم اولئك الذين يقرأون بعقولهم المعاصرة ويجتهدون في في نفس الوقت ان يحيطوا انفسهم بالبيئة التي عاش خلالها الشاعر اليوناني او اللاتيني فهم قد احدثوا لانفسهم لذة القارىء الحديث بان نقلوا القديم اليهم واحدثوا لانفسهم لذة القديم لانهم وضعوا انفسهم في بيئات غريبة عنهم .

ان القراءة عنصر مهم من العناصر التي تؤلف حياة المثقف اليوم وان الافادة منها — مهما كان نوع هذه الافادة — تقوم على تنظيمها تنظيماً يختلف حسب شخصية القارىء وطبيعة الموضوع .

بهيج عثمان

«عزيزي بروتوس»

السر جمس باري من اكبر ادباء الانكليز المعاصرين ، و « عزيزي بروتوس » من اشهر مسرحياته . وقد اخذ الكاتب اسم مسرحيته من قول احد الاشخاص في مأساة « يوليوس قيصر » لشكسبير : « اذا كنا لا نزال مرؤوسين ، يا عزيزي بروتوس ، فليس الذنب على حظوظنا بل علينا نحن . » فموضوع مسرحية باري مستمد اذاً من هذه الفكرة وهي ان شقاءنا وفشلنا في الحياة لا يصدران دائماً عن القدر الذي نرشقه بالتهم ولا عن الحظوظ بل عن طباعنا واخلاقنا . » يرينا مفتتح المسرحية جمهرة من النساء مجتمعات في قاعة قصر ريني تطل على حديقة ورد ، ونسمع النساء يتحدثن عن مضيفهن ، وقد بقي في قاعة الطعام يتحدث الى الازواج بعد العشاء حسب العادة الانكليزية . والغريب ان جميع المدعوات كن يجهلن كل شيء عن مضيفهن كما يجهلن الغـاية من دعوته اياهن الى العشاء . وفيما هن يتحدثن دخل سيد خدم القصر فسألته اللادي كاروابن ، وهي من كبار الارستوقراطيين قائلة : « لماذا دعانا سيدك الى هذه الحفلة ؟ لقد سمعناه هذا المساء يقول انه دعانا الى قصره لان فينا كلنا شيئاً مشتركاً . فما هو هذا الشيء ؟ »

فأجاب الخادم ماتي مرتبطاً : « كان يجب عليكـن ان لا تقبلن دعوته . »—ولكن من يكون سيدك والى اي عهد ينتسب، فهو طاعن في السن ؟ — يقول بعض شيوخ القرية انهم يعرفونه منذ سبعين سنة كما هو اليوم . وكثيراً ما ينسى هو نفسه فينطلق في التحدث عن الملكة اليصابات . فقالت احدى النساء وكأنها حزرت شيئاً : « اتراه دعانا جميعاً لاسبوع القديس يوحنا ؟ » فقال ماتي : « نعم انه يجب ان يكنّ هنا ليلة القديس يوحنا . »— ان يكنّ ؟ من ؟ — اللواتي يجمع بينهن شيء مشترك . — ولكن ما هو هذا الشيء ؟ فقال الخادم : لا ادري . ولما ألححن عليه قال : « سأقول لكنّ كلمة واحدة . لو كنت مكانكنّ لما ذهبت الى الغاب . » فقلن مذهولات : واي غاب ؟ » فقال الخادم : لو كنت مكانكن لما ذهبت الى الغاب . » قال ذلك وخرج مسرعاً . وفي هذه الاونة دخل صاحب الدعوة يتبعه ازواج النساء . وما كاد الازواج يدخلون حتى قالوا لنسائهن : « لوب — اسم صاحب الدعوة — يدعونا الى رحلة في هذا الليـل فاذهبن في الحال وجئن بمعاطفكن . » فقالت اللادي كاروابن :

« الى اين تريدون ان تمضوا بنا ؟ » — الى البحث عن غاب سري . — أتمزحون ؟ مع انكم قلتم لنا ان العيب الوحيد لهذه الناحية خلوها من الاشجار . فقال احد الازواج : « هذا في الليالي العادية ، اما في ليلة عيد القديس يوحنا فالامر يختلف . » ثم تحوّل الى لوب وقال له : « قل لهن ما قلته لنا يا لوب . » فقال لوب : « خرافات قروية ، فالقرويون يقولون ان غاباً سرياً يظهر في هذا البلد ليـلة عيد القديس يوحنا . » — ولكن اين ؟ — لا اعلم ، فهو لا يظهر دائماً في مكان واحد . تارة على كثبان الرمال ، وطوراً في ساحة القرية ، وحيناً في السهول .

ومن الان الى ان تعود النساء بمعاطفهن نكون قـد درسنا قليلاً احوال الضيوف . فالشيء المشترك الذي يجمع بينهم هو انهم مستاؤون من عيشتهم وانهم يتمنون لو راجعوا حياتهم من جديد ليتدبروا امورهم كما يريدون . وهؤلاء الناس ليسوا ارديا، ولكن الظروف ظلمتهم وقلبت لهم ظهر المجن ، فالسيد بوردي مثلاً لايحب زوجته مابيل بل يحب فتاة من المدعوين تدعى جوانا . وهو يعتقد انه لو تزوج جوانا لكان زوجاً كاملاً وهذا المصور وقد ناهز الخمسين من عمره ، يعتقد انه خسر مستقبله ولم يرزق ولداً فهو شقي تعس ، وتعتقد زوجته انها لو تزوجت اللورد الذي طلب يدها ورفضته لكانت سعيدة . وهلم جرا . .

ولما عادت النساء بمعاطفهن سألن لوب قائلات : « ولكن ماذا يجيء لنا هـذا الغاب ؟ » فتردد لوب قليلاً ثم قرر ان يفشي جزءاً من سره فقال : « يقال ان من يدخل هذا الغاب السري يجد فيه ما يتمنى : عودة جديدة الى مفتتح الحيـاة . » فصرخت جوانا « هذا هو الشيء المشترك الذي يجمع بيننا . » وفي تلك الاونـة رفع ستار واذا الحديقة الورد تستحيل الى غاب كثيف تتخلله اضواء القمر . ويرينا الفصل الثاني غاباً سحرياً ، وفي هذا الغاب نرى بوردي وزوجته مابيل ينسلان بين الاشجار . ولا شك انكم حزرتم ماذا جرى . فقد تزوج بوردي جوانا وهو يخونها مع مابيل . . . كما كان في الفصل الاول يخون مابيل مع جوانا . .

ويعود بنا الفصل الثالث الى قصر لوب فنرى جميع المدعوين يظهرون واحداً بعد الاخر راجعين من الغاب ، سوى ان شعورهم لا يعود اليهم الا تدريجاً . واذ يرجعون الى حياتهم العادية يدركون ان الذي خدعهم لم يكن الانقلاب الذي ارادوه بل كانت طباعهم ، فاذا كان ثمـة شيء يحتاج الى تبديل لادراك السعادة في العالم فهذا الشيء ليس بالظروف او بالحوادث بل هو شهواتنا نفسها !

الفارابي المعلم الثاني

بقلم رئيف خوري

★

ليس المعروف من حياة الفارابي بكثير ، وبعض الاخبار عنه انما هي من قبيل الاختراع الروائي . يقال انه ولد في قرية وسيج ، حصن صغير من منطقة فاراب فيما وراء النهر . وهي التي جرت نسبته اليها فسمي الفارابي . وكان ابوه فارسياً وقائداً من قواد الجند .

انتقل من فاراب الى بغداد ، والخلافة العباسية اذ ذاك تهبط مدرجة الانحطاط سياسياً . غير ان العلوم كانت جد مزدهرة . فلقنها وثقف بها . وكان على طالب العلم ان يجتهد في استيعاب معارف عصره جملة فيكون اشبه بدائرة معارف او بمكتبة سيارة من لحم ودم . وهكذا نجد الفارابي قد ضرب من كل شيء بسهم ، فهو في عداد الموسيقيين والرياضيين واللغويين والاطباء والفلاسفة ، مع سعة ما كانت تدل عليه لفظة فيلسوف .

ثم غادر بغداد بعد اقامة طويلة فيها الى حلب . والمظنون ان مغادرته الى بغداد كانت بسبب كثرة اضطراباتها السياسية والخلافة كما اسلفنا في مدرجة انحطاطها . واتصل في حلب بسيف الدولة الحمداني ممدوح المتنبي المشهور . والراجح انه قضى ايام شيخوخته الاخيرة في عزلة صوفية . ومات في دمشق . ويقال : ان سيف الدولة احتراماً لمكانته لبس لبس المتصوفين وصلى عليه صلاة الميت بنفسه .

كان الفارابي دماغاً جباراً . والا لما استطاع ان يستوعب ما استوعبه من معارف عصره الجمة . وفي ذلك مبالغات عنه تشبه الاساطير . منها انه كان يجيد جميع لغات اهل الارض : سبعين لغة ! اما استيعابه لفن الموسيقى وابداعه فيه فامر مشهور . ولقد حكي عنه انه في مجلس استطاع بآلته الموسيقية ان يرسل انغاماً اضحكت الحضور ، وانغاماً ابكتهم ، وانغاماً بعثت فيهم اليقظة ، وانغاماً اسلمتهم الى النوم

وكان الفارابي على تعبير ابي الحسن الآمدي عنه « مقتنعاً باليسير من الرزق » . كان لا يقبل من سيف الدولة اكثر من اربعة دراهم فضية في اليوم سداً لنفقته الضرورية فقط . ومنهم من يروي انه لاملاقه وترفعه عن قبول العطية عمل ناطوراً لبستان من بساتين دمشق ، فكان في اثناء الليل يستضيء على المطالعة بنور قنديل الحارس ويسترسل في افكاره واحلامه .

وسواء أصح هذا ام لم يصح ، فالفارابي كان رجلاً عالي النفس ، منقطعاً الى العلوم عظيم الشغف بها . وقد انصفه المستشرق ديبور لما قال عنه « عاش ابداً في دنيا الفكر . كان ملكاً في مملكة العقل وفقيراً معدماً فيما يتعلق بحطام الدنيا . وكان يشعر بالسعادة تغمره وهو الى جانب كتبه . . .

ولم تخل نفس الفارابي من الالم هذا الرفيق الذي لازم نفوس اولي الفكر الحساسين ، وقد رأوا العالم على غير ما يودون له من الخير والجمال فساقهم المهم الى العزلة والانقطاع كما وقع لفيلسوفنا فقال يصف حاله :

بزجاجتين قطعت عمري   وعليهما عولت امري
فزجاجة ملئت بحبر   وزجاجة ملئت بخمر
فبذي ادون حكمتي   وبذي ازيل هموم صدري

والبحث في تفكير الفارابي بحثاً مفصلاً يخرج عن نطاقنا الآن . ولعل كثيراً من تفكير الفارابي اذا اعتبرنا قيمته بحد ذاته وجدنا ان عصرنا قد سبقه بعيداً وخلفه وراءه . اهتم الفارابي جداً بارسطو وصرح انه لو ادركه لكان اكبر تلاميذه . وهكذا حاز لقب المعلم الثاني لان ارسطو هو الملقب بالمعلم الاول .

ولكن ليس هذا اشد ما يجذبنا الى الفارابي بل ان اشدما يجذبنا اليه سمو تقديره للفكر والعقل فقد جعل الفكر اقوى قوى النفس البشرية ، وجعل النفس البشرية لا تكمل الا بالعقل والعقل هو انسانية الانسان الحقيقية في رأيه ٠

وهكذا رفض الفارابي تصديق التنجيم ، وحكم على الشعر حكماً محقراً قاسياً لانه كما نعتقد ، اشمأز لما رأى الغالب من شعراء العرب يغرقون في المبالغة ولا يتقيدون في اقوالهم من مدائح ومراثي وما اشبه بشيء يقال له الحقيقة ٠

والنفس البشرية عند الفارابي تشتاق ، وهي في اشتياقها تتجه الى ما هو ارفع ٠ فالفارابي فيلسوف راسخ الايمان بتقدم الانسان ونزوعه نحو الكمال ٠ وكمال الانسان هو عامل السعادة ، والسعادة في رأسه هي الغاية المنشودة لذاتها لا لغاية اخرى بعدها ٠

على ان الكمال في مذهب الفارابي والسعادة الناشئة عنه لا يتحققان الا بتعاون الناس في الاجتماع والتعاون هو ان يعمل كل واحد عملًا يفي بمطلب من مطالب الآخر ٠

فاذا تعاون اهل مدينة ما على ان يفي كل واحد منهما بمطلب تقتضيه سعادة الآخر — اي اذا نظم اهل مدينة ما اعمالهم بحيث تكفل لهم سعادتهم جميعاً ، فهم اهل مدينة فاضلة ٠ هذا هو المحور الذي يدور حوله كتاب الفارابي الاشهر : آراء اهل المدينة الفاضلة ، وهذه هي البذرة التي ظلت حية في تفكير الفارابي وتظل حية ٠

قبس الفارابي مدينته الفاضلة من جمهورية افلاطون ، وكما ان جمهورية افلاطون لها رئيس اعلى مدبر هو الفيلسوف فكذلك مدينة الفارابي لها رئيس اعلى مدبر هو الانسان الذي بلغ اكمل مراتب الانسانية واعلى درجات السعادة ٠ وكما ان جمهورية افلاطون فيها طبقة العبيد فكذلك مدينة الفارابي الفاضلة فيها الذين يخدمون ولا يخدمون ٠ ففي مدينة الفارابي الفاضلة نقائص كما في جمهورية افلاطون ٠

ونحن لا ندعو الى اتخاذ مدينة الفارابي الفاضلة مثلًا اعلى ننظم عالمنا على اساسه لان هذا لا يجوز ولا يمكن ٠ ونحن لا ننزه الفارابي عن مبادىء يستطيع الرجعيون ان يستغلوها لمصالحهم كزعمه في السعادة والكمال انهما براءة نفس الانسان من المادة ٠ وهو اثر من آثار صوفيته ٠ وهذا الاشمئزاز الذي يبديه الفارابي وجماعة المتصوفين من المادة ، نخاله راجعاً الى حرصهم على صفاء انفسهم ونقائها من ناحية ومشاهدتهم من ناحية اخرى ما يقتضيه قوام المادة من امور تلوث النفس كالنفاق والدسيسة والطمع والظلم ٠ وذلك بسبب نظام للامور يضيق على الانسان الشريف مذاهبه في العيش ويمنعه ان يظفر بقوامه المادي دون ان يحس انه قد عرض كرامته وانفته للمهانة ٠ فليس المتصوفون المخلصون الا اناساً حساسين هاربين من فساد نظام الامور يظنونه فساداً اصيلًا في ذات العالم ٠ وليس كرههم للمادة وانسحابهم الى اكناف العزلة الا شكلًا من الاحتجاج على ذلك النظام للامور ٠

هذا الى انهم على الاغلب يفهمون بالمادة معناها العامي ، اي : كسب الاموال وتكديسها وهو المعنى الذي لا يزال غالباً حتى على اذهان مفكرينا الآن اذ يتكلمون على المادة والمادية وهم يعنون حب الربح وخلق الانانية والدناءة ، ويتكلمون على الروح والروحية وهم يعنون خلق الاباء والتضحية والتجرد ٠ وظاهر طبعاً ان معنى المادة والروح في محض الفلسفة والعلم مستقل عن هذا المراد الاخلاقي بهذين اللفظين ٠

انما نحن نحترم الفارابي لانه في زمنه القصي لمس الخير العميم الذي يستطيع التعاون ان يفيضه على المجتمع البشري بينما نحن لانزال الى اليوم نجد من يأبون على المجتمع البشري الا ان يسوده ناموس الوحوش الهمجي — ناموس الاقتتال والغصب والافتراس ٠ ونحترم الفارابي ايضاً مفكراً جعل الكمال والخير والسعادة حق الانسان وغرضه بينما لا نزال الى اليوم نرى من يعدون الانسان آلة مسخرة لمنفعة بعض الاسياد وللعدوان الحربي ٠

والمهم ان الفارابي يرى الكمال والخير والسعادة حق الانسان وغرضه على الارض ٠ قال ابن طفيل : « ان الفارابي ذكر في شرحه لكتاب الاخلاق لارسطو : ان ارقى ما يصل اليه الانسان هو في هذه الدنيا ، وان الخير الاسمى هو ايضاً في هذه الدنيا ٠ »

أكان فيلسوفنا اذن لا يصدق بحياة ثانية كما زعم عنه بعضهم ان كلمة ابن طفيل اذا صحت عنه فلا تعني مطلقاً انه منكر للحياة الثانية ، وعلى كل حال فما يعنينا الامر ؟ انه قد دعانا الى تحقيق الكمال والخير والسعادة لنا في هذا العالم ، وليس في ذلك ما يمس بوجود عالم آخر ، وليس في وجود عالم آخر ما يقف حاجزاً بيننا وبين الكمال والخير والسعادة هنا ٠

رئيف خوري — طرطوس

ذكريـــات

بقلم راجي الراعي

●

خرجت من الكلية الشرقية في زحلة وانا في السادسة عشرة من عمري ، اتأبط شهاداتي الثلاث في العربية والفرنسية والانكليزية ولم يمض عليّ شهر واحد حتى عقد المجلس العائلي وجيء بي وبشهاداتي وطرحت قضيتي : قضية المهنة التي يجب ان اختارها في الحياة على بساط البحث وألقي عليّ هذا السؤال الرهيب :

ماذا تؤثر ان تكون في المستقبل : أطبيباً ام مهندساً ام محامياً ؟ وبعبارة اخرى الى اي مهنة من هذه المهن الثلاث تميل بك الفطرة ؟

اذكر انني اجبت وقتئذ قائلاً : اما الطب فلا اراني خلقت له واخاف اذا ما تعاطيته ان يتصرف مبضعي بالشرايين والاوردة على هواه فلا ينهض من بين يدي عليل او جريح وتتساقط عليّ اللعنات من كل حدب وصوب .. واما الهندسة فاني اشعر ان الفكرة الرياضية الهندسية نبتة صغيرة ضئيلة تنمو بكل بطء وتواضع في زاوية مهجورة من زوايا رأسي محجوبة عن الشمس والهواء بتلك السنديانة الهائلة التي تمتد اغصانها في غابتي وتكاد تملأها كلها الا وهي قوة الخيال .. انا من اصحاب الاحلام ولست رجل ارقام واخاف اذا ما تعاطيت الهندسة وعهد اليّ بتشييد الجسور والابنية ان ينتهي امرها بالسقوط على رؤوس اصحابها وامري بقضاء السنوات الطوال في غياهب السجن .. واما المحاماة فانا لها وهي لي ولدي من لساني الذرب وخيالي الخصب وحجتي القاطعة ما يضمن لي ان امثل فيها دوراً لامعاً تحت رعاية « عطارد » اله الفصاحة .. وارفضّ المجلس العائلي بعد ان اجمع الرأي على ان اكون محامياً .. ومضت ايام كنت اصعد خلالها الى الكروم واقف فيها بعيداً عن الناس امام شجرة التين والدوالي وانا اتخيل شجرة التين منصة القضاء والدوالي الحضور واخطب بصوت جهير تشبهاً بالخطيب اليوناني العظيم ديموستينوس الذي كان يذهب الى شاطىء البحر ويتمرن على الخطابة صائحاً بملء رئتيه ليعلو صوته اصوات الامواج الطاغية المزبدة . واذكر انني ذات يوم اطلقت لصوتي العنان وملأت به فضاء الكروم حتى كاد ينشق صدري فهرول نحوي الناطور من خيمته المنصوبة على اعلى قمة هناك وما هو ان لمحته مقبلاً عليّ بقامته الجبارة وعصاه الضخمة وعينيه الجاحظتين تقدحان شرراً حتى اطلقت ساقيّ للريح تاركاً ورائي الخطابة والمحاماة وديموستينوس ، ورحت اتسلق الروابي وأقفز من جل الى جل والناطور ووراءه سكان الكروم يطاردونني صائحين : امسكوه ، امسكوه فهو سارق او مجنون . وانا الوح لهم من بعيد صائحاً : محام ، محام ! ومنذ ذلك اليوم عدلت عن التمرن على الخطابة والمحاماة في الكرم وقبعت في المدينة اتمرن في غرفتي ..

وعقد المجلس العائلي جلسته الثانية لتعيين المكان الذي اتلقن فيه المحاماة ، ولم تكن قد انشئت بعد مدرسة الحقوق الفرنسية في بيروت فالحكاية التي اسردها تعود الى سنة ١٩١٠ . فقرّ الرأي على ان ادرس الحقوق في القاهرة فركبت البحر مع المرحومة جدتي عطرش وهو اسم لا بأس به لولا « الشين » التي ذهبت بالعطر ولم تبق له اثراً .. وبين ليلة وضحاها بلغنا القاهرة حيث كان لي عمة رحمها الله ، تقيم في منزل في حي الضاهر سبقني اليها كتاب التوصية والرجاء بان تكلأني بعين رعايتها وعنايتها في الارض المصرية .. ألقت بي السيارة امام ذلك المنزل فاذا هو غرفتان ودار صغيرة في الطبقة السادسة على سطح البناء . فتخلّت عمتي عن احدى الغرفتين واختصت بالاخرى لها ولولدها الذي كان ينهض في الساعة الخامسة صباحاً ويدرس هو الاخر الحقوق ولكن في البيت حتى

اذا دنت الساعة السابعة اسرع الى ديوانه ووظيفته .. وجلست الى طاولتي الصغيرة في غرفتي الصغيرة على السطح في ظل المرحومة عمتي وابنها ومن حولي الكتب فكان اول من لاح لي في سماء الخيال في تلك الساعة بلزاك وهو في غرفة السطح فقير لا يملك شروى نقير يضع تمثال نابليون النصفي امامه ويصيح بصوت الامبراطور : سأتم بالقلم ما بدأه بالسيف ، انا العبقري رب القلم ونابليون الادب . وضربت بيدي على الطاولة ضربة قوية ارتجت لها الغرفتان والدار واهتز لها السطح واجفلت عمتي فأقبلت عليّ قلقة مذعورة تسألني : مالك يا راجي وماذا حدث لك ؟ فقلت لها : هاتي لي تمثال نابليون النصفي فضحكت المرحومة عمتي ضحكة فيحاء لا تزال ترن في اذني ثم قالت بلهجة حازمة : دعك من التماثيل وانصافها فانت هنا لتدرس الحقوق فاذهب الى المدرسة .. وفي صباح اليوم التالي تحولت عن نابليون وبلزاك وتمثاله وقصدت الى مدرسة الحقوق الفرنسية حيث كانت تلقى علينا الدروس ساعتين في كل مساء .. وكان لنا ان نختار موعد الامتحان نؤديه في دورة حزيران في باريس او في دورة تشرين الثاني في القاهرة ، وشيطان الحي اللاتيني الذي قرأت عنه يوسوس في رأسي . لم استطع الصبر حتى تشرين ريثما تأتي الينا اللجنة الفاحصة .. وكان المرحوم والدي يرسل اليّ مصروف الشهر وقدره سبعة جنيهات مصرية هي كل ما كانت تسمح به ثروته فما هو ان قبضت الجنيهات السبعة في آخر (مايو) وأطل عليّ شهر (يونيو) حتى كنت على ظهر الباخرة لأؤدي الامتحان على ضفاف « السين » ومعي صندوق طويل عريض ملأته بكتبي وحوائجي .. وكانت تلك سفرتي الاولى الى شاطيء بعيد .. سبعة جنيهات مصرية كنت اوزعها على ايام الشهر في القاهرة فتكفيني حتى يطل عليّ الشهر التالي ولكن أتلك الجنيهات التي لا تجاوز اصابع اليد الواحدة الا باصبعين فقط كافية لسفري من القاهرة الى باريس انا وصندوقي الطويل العريض؟ ذلك سؤال لم اتردد وانا الضعيف في الحساب ولاخبرة لي في الاسفار بعد ، في الجواب عليه قائلًا : انها تكفيني وفي الواقع انها كانت كافية لولا صندوقي الضخم الذي لم ادخله في الحساب .

قمت بتلك الرحلة خفية عن المرحوم والدي اذ لو استشرته في الامر لأبى ان اقوم بتلك المغامرة وانا بعد في السادسة عشرة من عمري واكرهني على البقاء وانتظار اللجنة الفاحصة ، وقلت لنفسي اصل الى باريس فأضع والدي امام الامر الواقع وارسل البرقية التقليدية المعروفة : « Cablez Argent » ولكنني وهنا بيت القصيد ، لم استطع ارسال تلك البرقية التي لا تتجاوز الكلمتين فقد استغرق الصندوق بطوله وعرضه وثقله نصف المبلغ ولو صغّرت حجمه لهان الامر . فلما وطأت ارض باريس لم يكن في جيبي غير اجرة السيارة التي اقلتني الى فندق صغير في آخر الحي اللاتيني لا ماء فيه ولا زاد . ونمت ليلتي تلك وبجانبي صندوقي الكبير الذي رماني في تلك الورطة . وفي الغد في ساعة مبكرة نهضت مفتشاً في باريس التي لا اعرف فيها احداً لاستدين ثمن البرقية . ولم تقف المصيبة عند هذا الحد فهناك الامتحان الذي جئت من اجله والويل اذا اخفقت وكيف تريد ان لا اخفق وقلبي يخفق جوعاً .. انها لساعة مرة سوداء تلك الساعة التي يحلو لي ان اذكرها الان لانها حملت لي وجهاً من وجوه الحياة كنت اجهله وامثولة المستقبل ..

ضاقت بي الدنيا ورحت افكر في طريقة للخروج من ذلك المأزق فلم اجد بعد التفكير العميق الدقيق الا ان اتخلى عن بعض ما املكه وما اقلّ ما املك وقلت لنفسي : ابيع صندوقي الثقيل وثلاثة من كتبي حفظتها غيباً وان تخونني فيها الذاكرة يوم الامتحان على ان اعود فاشتريها فيما بعد . وهكذا عقدت تلك الصفقة وتوفر لي بضعة دريهمات ذهبت بها رأساً الى ادارة البرق وأرسلت برقيتين قصيرتين : « Cablez argent » لا اكثر ولا اقل واحدة للمرحوم والدي في زحله ، واخرى المرحوم عمي في فانكوفر من اعمال كندا وقلت : اذا لم تصب احداهما المرمى اصابت الاخرى . ولبثت انتظر الجواب وكتاب الحقوق في يدي استعد للامتحان ومعدتي خالية خاوية .. قضيت ثلاثة ايام جائعاً اتنقل فيها بين تماثيل الفلاسفة في ساحات باريس اتأملها واتخذ منها دروساً الزهد والصبر ، وبلانيول وغارو في يدي ، والمعدة تشكو وتتألم .. واخيراً لاح بارق النصر في ذلك الجو المكفهر القاتم وحمل اليّ ساعي البرق من الشرق والغرب ، من الاب والعم ، برقيتين تبرقان . بقبضة من ذلك الاصفر الرنان . فأسرعت لساعتي الى حيث مد الخوان وتهافت علي من الطعام والشراب ما شئت من الوان .. ونجحت في الامتحان .. وآليت على نفسي بعد تلك الهموم والاشجان ، ان لا اركب البحر قبل ان احسب حسابي وحساب الزمان ..

راجي الراعي

مملكة الآذان

بقلم الدكتور نقولا فياض

مملكة الاذان لا تقل خطراً واتساعاً عن مملكة العيون وفيها لمعدم البصر عزاء لانها تقيم لها عرشاً آخر يستوي عليه ويجمل من الطبيعة ملكاً بين يديه . ذلك هو عالم الاسرار والجمال الذي يطل عليه الانسان من نافذة الاذان . فالبحر والبر والسهل والجبل والارض والسماء مسرح طرب واحلام يهدينا اليه السمع فنشعر من ورائه اننا لا نزال اصحاب جلالة على الارض . ومن لا يعرف ان يفهم شيئاً يقوله العصفور على الاغصان والريح فوق الجبل والقصب على الغدير والموج عند الشاطئ لا يمكنه ان يدرك جمال النفوس ولا يستحق ان يتمتع بلذات الفكر والروح . ان العصفور الذي تحضنه وتربيه وتحيطه بالعناية وتزين قفصه بالرياحين لا يبهجك بجمال ريشه قدر ما يبهجك بتغريده فهو يطربك حتى في سجنه . ولو اتيته في الغاب لسمعت منه من غناء الحرية ما هو ألذ وأسمى . والذين ألفوا حياة البرية والحقول يشعرون اكثر من غيرهم بهذه اللذة وهذا السمو لانهم لا ينفكون من السماع الى اجواق موسيقية متعددة الالوان والالحان ولانهم يتمتعون بلذة التعرف الى هذه الضيوف المجنحة ويميزون الاطيار باصواتها ويدركون نغم الحسون من الشحرور والبرقش من القبرة مهتدين بجمال الصوت قبل جمال الريش وما كانت حلة الطير يوماً دليلاً على مقدرته الغنائية فالبلبل بسيط اللباس وهو امير المغنين . اسمعه يصعد نغماته من اعماق الليل الداجي ويزرع السكوت زقزقة وتنهدات حتى يخال اليك ان قطرات اللآلئ تتساقط من الظلمة . كذلك القبرة التي يقول فيها الشاعر :

يا لك من قبرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت ان تنقري ... لا بد من اخذك يوماً فاحذري

فهي تتعالى بصوتها حتى السحاب وترسل الينا سيلاً من الالحان المشمسة تعبر عن حرارة الحياة في ايام الصيف الطويلة . يقال ان هذا الضرب من العصفور قاسي القلب وفي طبعه ان لا يهوله صوت صائح وربما رمي بالحجر فاستخف بالرامي وطى بالارض حتى يتجاوزه الحجر ولهذا السبب لا يزال مأخوذاً او مقتولا لان الرامي يحمله الحنق على مداومة ضربه حتى يصيبه ولهذا نرى الشاعر يحذره من الصياد . ويحكى ان رجلاً صاد قبرة فقالت ما تريد ان تصنع بي ؟ قال اذبحك وآكلك : فقالت والله اني لا اسمن ولا اغني من جوع ولكني اعلمك ثلاث خصال وهي خير لك من اكلي اما الواحدة فاعلمك اياها وانا على يدك والثانية اذا صرت على الشجرة ، والثالثة اذا صرت على الجبل ، قال نعم . فقالت وهي على يده : لا تأسفن على ما فاتك . فخلى عنها . فلما صارت على الشجرة قالت : لا تصدق بما لا يكون . فلما صارت على الجبل قالت : يا شقي لو ذبحتني لوجدت في حويصلتي درة وزنها عشرون مثقالا . فعض على شفتيه وتلهف ثم قال : هات الثالثة . فقالت : قد نسيت الاثنتين الاولين فكيف اعلمك الثالثة . قال : وكيف . قالت : الم اقل لك لا تأسفن على ما فاتك وقد تأسفت . وقلت لك لا تصدق بما لا يكون وقد صدقتني فانه لو جمعت عظامي وريشي ولحمي لم يبلغ عشرين مثقالا فكيف يكون في حويصلتي درة بهذا الوزن .

اعود الى موضوعي — ان اغاريد الطيور بلبلاً كان او شحرورا ، قبرة او حسونا تفعل في نفس السامع فعل الخمرة فتهتز لها وتطرب وكما تنعكس السماء على صفحات الماء او يتردد الصدى في الاودية والجبال

تنعكس الانغام في الخاطر وتتردد في حنايا الضلوع فنشترك معها من حيث لا ندري في صلاة ابدية يرتفع بها الفكر فوق عالم المادة التي الى ماهو اصفى وانقى، يجد فيه الحزين عزاء، والضعيف نشاطاً والفقير غنى .

وليست الاغاريد وحدها تؤثر في السمع فالوجود كله اصوات . وقد ذهب بعض الفلاسفة الاقدمين الى ان الكواكب التي تطلع وتغيب فوق رؤوسنا ليست خرساء، ولكل منها في حركته او ثبوته صوت خاص وان مجموع اصواتها يتألف منه غناء اللانهائية وهو ما كانوا يسمونه اصطحاب الافلاك . تلك فكرة شعرية فاذا كنا لم نبلغ بعد درجة تخولنا لمس الحقيقة فيها فنسمع موسيقى النجوم والاقمار فاننا قادرون بحمد الله ان نسمع موسيقى الاشجار لان كل شجرة قيثارة بيد الريح ولاوراقها وغصونها نغم خاص تعرف به فتسمع انيناً في النخيل وضجيجاً في السنديان كما تحس عند اهتزاز الحور بخرير المياه كأن غديراً يجري من حولك . كل هذه الاشجار تتهادى مع النسيم فيخيل لنا في وشوشتها وايماء غصونها ان بعضها يسر الى بعض اسراراً او يقص عليه حكايات واخباراً .

والبحر . ماذا لا يقال عن البحر فهو القيثارة الكبرى بين زئيره وانينه وغضبه وجنونه وعندما تهب العاصفة وتدوي الصاعقة وترتجف الارض بين الرعود والبروق فهناك العظمة الهائلة التي تبعث في النفوس رعشة غريبة اللذات .

والسكوت ، السكوت نفسه له صوت يسمعه المفكر فيدرك به اشياء تغيب عن عامة البشر . سكوت الليالي وسكوت الوحدة وسكوت القبور .

ولكن فوق كل هذا واهم منه صوت البشر ،فهو اول حدود مملكة الاذان وآخرها . فالصوت البشري صلة الوصل وواسطة التعامل والتفاهم بين الناس . نعم، للحيوانات التي نستخدمها او تعيش معنا اصوات ولكن لا قيمة لاصواتها الا بقدر ما ننزلها فيها ونعطيها من معانينا فنفسرها كألوان فيها اشياء انسانية . وهل انكر من صوت الحمار مثلاً ومع ذلك فلا نعدم له تفسيراً فنحسبه تزمراً وشكوى وقد يكون على خلاف ما نحسب صراخ فرح ولذة بالحياة او شوق وتحنان او غير ذلك من العواطف الاجتماعية . على كل حال سيبقى سراً مغلقاً لا سبيل الى فهمه . وبالعكس فاننا نفهم الصوت الانساني وهذا ما يهمنا . وقد اصبح اللسان قادراً على التعبير عن اخفى افكارنا ، وما لغة الكتابة الا صورة عن المنطق ولو كان الانسان عادم النطق لما توصل ان يكتب . هذا الصوت وهو حلية المرء وبه يسطو على القلوب سواء في الحديث او الخطابة او الصلاة او الغناء على ان لكل شيء آفة من جنسه فكم نضطر ان نضع اصبعنا في اذاننا كي لا نسمع بذيء القول . واذا ساق الينا سوء الطالع بعض الثرثارين فقد نتمنى الصمم لنا او الخرس لهم .

وهناك ضوضاء المدن وصرير دواليب الترامواي ونداء الباعة عند الفجر وضجيج المجتمعات العمومية وصفير السيارات، كل هذه الاشياء كالشوكة في التاج نفضل من جرائها ان نكون رعاة في البرية لا ملوكاً على عروشنا . ان الجلالة التي يتمتع بها من له اذنان للسمع يجب ان تصان بتهذيب الصوت ليكون في اذن السامع رسول بشر لا اشارة خطر تبعث على النفور والهرب . عند ما اراد هيكو ان يصف في بيت من الشعر جنود نابوليون الذين تجلت في حروبهم روح الثورة الخالدة قال : «كانت روحهم تغني في الابواق النحاسية» . فلنجعل من اوتارنا ابواقاً تغني فيها روحنا نشيد الحب والشجاعة والتضحية والاخلاص وافراح الحياة وآلامها ذلك خير ما يجري على لسان واجمل ما تشنف به الاذان .

نقولا فياض

فجر يحتضر

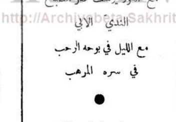
ليوسف الخال



سراباً غدا مطلبي
وخيطاً من الغيهب
وفيء جناح يطير
ويمعن في المهرب
كأن الزمان يراه محالا
ليعبث بي
ويملأ نفسي احتضار الضياء
لدى المغرب

غدي ياغد الوهم والظن
والامــل المجدب
سقيتك ذوب رجائي الوحيد
فلم تشرب
وخلتك دنيا فنون
تعجّ على ملعبي
وتفرش دربي وروداً
وترقص في موكبي





انا لن اضم جناحي
بعدُ على مطلبِ
سأفرغ حبي وافنى
مع النغم المطرب
مع النور يرشف ثغر الصباح
الندي الابي
مع الليل في بوحه الرحب
في سره المرهب

●

غدي ياغد الوهم والظن
والامــل المجدب
رويــداً فبعدك
لن استضيء على كوكب

١٦ ديسمبر ١٩٦٠

يوسف الخال



الليـالي الشامية

بقلم زكي المحاسني
استاذ العربية في تجهيز دمشق



لكل مدينة عريقة ليال خالدات . فالليالي الموسكوبية والليالي الباريسية وليالي الاندلس ، دجنات بيض ، جلابيبهن ثريات الانوار . لكم لاحت فيهن شموس ولا كشمس النهار وطلعت في سماواتها اقمار ولا كالقرص الفضي الموسوم على عارضيه بالكلف ثم ، أما قال في عتيق الدهر رهن المحبسين وهو في ليلين :

رب ليل كانه الصبح في الحسـ
ـن وان كان اسود الطيلسان
ليلتي هـذه عروس من الزنج
عليهـا قلائد من جمان

هكذا فلدمشق ، وهي أسطورة الشرق ليال متألقة ساطعات .

انها الاسمار على سفوح « قاسيون » من مهب الصالحيـة الى وهاد الحواكير . لتبدأ عنـد هجمات الحر في الصيف اللاهب ، ويزدحم بها السرى في الليالي القمراء وصفحة البـدر التم وهاجة بنثير اللجين ترتمي على رؤوس السارين في الدرب او الجاثمين على الارض جماعات وازواجا . ولقـد تتهادى نسمات عاطرة تجيء من بطحاء « المزة » فتهز ورق الشجر من بساتين « ارض الوالي » حتى جنائن « الربوة » ويبقى السامرون في حديث يساقطونه ، او صمت يتداولونه وغناء المذياع يصل اليهم من بعيد ، حتى يتصرم قطع من الليل او هزيع فتسكن طاسات باعة السوس عن التصفيق وتنسل الشخوص ، وقد انجرّت عليها الظلال ، الى المأوى . فاذا خلا الجبل من الناس وتطامنت السفوح خلت الطبيعة الى نفسها فاتيح لقاسيون الاشم ان يناجي غوطة الفيحاء وان يصيخ بآذان الصمت الى صوت بردى يمضي بين ضفتيه وكأنه سيف من فضة .

واذا تكورت العمائم الخضر ، ونشرت الرايات الحمر ، وخفقت الطبول ورنت الصنوج كان ذلك ليلة من ليالي الاذكار في بلد الشام ولعلها تكون لنذر يوفى ، او بركة تجتنى او لدعاء يرفع الى الله . ولقد سهرت في ذكر من هذه الليلات فاذا حلقة مستديرة بالذاكرين وفي عقدتها رجل طاعن في العمر عليه قباز وسراويل وفي خصره شملة وقد جعل يدعو ويتمتم ثم يجمجم كلاماً لا يستبين السامع الفاظه ولا يدرك معانيه . واخذ يميد بجسمه ميداناً ثم يميل تميلاً والقوم يحتذونه ويقلدونه في حلقتهم المتراصة وكل ساعة يدخل فيها رجل جديد وهي تتسع حتى اخذت اطار الدار ثم شرع يذكر بنفثات من السعال متواترة متواقعة تجري على نقرات الطبل والدفوف ، وخفقات المزاهر والصنوج واذا بعض الذاكرين يغلبون على شعورهم فتنحل قواهم من فرط ما خفقوا وطول ما جالوا وداروا ، ويقـع احدهم ارضاً فيتلقفه الاتباع والخدم يرشون على وجهه الماء . فاذا صحا عاد الى الحلقة وعاود الدوران والخفوق وان في رمضان ليالي دين وليالي دنيا . فاذا حانت الليلة السابعة والعشرون منه دعي علية القوم من مواطنين واجانب الى دار المولوية فشهدوا حفـلا منقطع النظير يجري على وتيرة متناسقة وانغام موسيقية فيتهادى المولويون فيها على نغمات النـاي الحنون في ذكر ثم يخلعون طيالسهم السود ويرتدون البيض ذوات الاذيال المنفرجـة ويدورون وقد رفعوا ايديهم الى الهواء فتنتشر اذيالهم المستديرة كأنها المظلات الكبيرة وينفتلون على اعقاب ارجلهم آلاف الدورات وكانهم اللوالب ، يسيرون على ايقاع وموازين ويؤدون التحايا لرئيسهم الوقور عند

انتهاء الدوران ، فاذا انفض هذا الحفل وخرج الناس منه افواجا افواجادخلوا الى المسجد الاموي ليشاهدوا المولوية مرة ثانية وهنالك تحت السقوف العالية وبجانب مقام النبي يحيى عليـه السلام يفتل المولويون ويدعون الله مودعين لشهر رمضان ، ويستقر بهم الدوران بعد السحور في بيت سيد من سادات هذه الطريقة .

اما ليالي رمضان الدنيوية في الشام فهي من ابهج ليالي البلاد الشرقية وما بهجتها بالانوار المتلألئة في سماوات الدروب التي يبيت اكثرها مفتح الحوانيت حتى السحر .

وثمة فرجة الدنيا وبيت الاعاجيب . داران بل قهوتان يكثران في ليالي رمضان لدى الاحياء الشامية القديمـة اولاهما : قهوة الحكواتي :

ها هم القوم قد انفتلوا من صلوات التراويح بعضهم قد قفل الى بيته والبعض قد جاء الى قهوة « خبيني » اوقهوة « باب العمارة » فجلسوا على كراسي واطئة ، وجوهها من القش . وجعلوا يملؤون صفوفاً منهـا . وحين يستكمل جمعهم يدخل عليهم ، دخول الابطال الفاتحين، العم ابو سعيد الحكواتي او الشيخ عزو القصاص . يغوص رأسه في طربوشه الحميدي فيقفز على مائدة قد نصت في بهرة القهوة فاذا استقر على عرشه مد يده الى جيب صداره فاخرج كناشاً بالياً مخطوطاً بحبر يشبه الزعفران . ثم نصب نظارتيه على ارنبة انفه وتطلع في زهو وصلف نحو الحاضرين من فوق نظارته ثم تنحنح وسعل وقال :

– ايها الكرام . كان ابو زيد الهلالي . او كان عنترة بن شداد ..

ويهدر صوته في اعماق صدره مندلعـاً على الناس من فمه فاذا انتصفت رواية الليلة انحدر عن مقـامه وجعل يمشي فيرتجل بعض الشروح على الرواية . ثم يعود الى القراءة والسرد بالقاء عجيب مخصوص يضخم الكلم في الفزع والحرب ويرتقها في الهوى والسلم . واذا حضر الحكاية رجل غريب اخذته اصوات الحكواتي آناً بعد آن بشيء يشبه الذعر . اما السامعون المتمرسون بحكاياتـه فانهم لا يتزحزحون عن كراسيهم وكأن على رؤوسهم الطير . ونفر منهم في افواههم انابيب النرجيلة يقرقرون بخفوت وينفخون الدخان من افواههم بسكوت وقد يزور بعضهم عن بعض ويتراشقون بالملامز بهدوء . وقـد يثور بعض ببعض في فترات الإستراحة فيقول احدهم مثلًا وقد اخذته الحماسة :

– الزيناتي خليفة أشجع من الهلالي .

ويشتبك الجدال ويصير نزاعاً ثم تراشقاً بالسباب وقد يحور لكماً وضرباً يمتد من باب القهوة حتى ارجاء السوق .

والقهوة الثانية هي الكركوز .

جئت المقهى في (سوق ساروجة) اول الليـل فنزلت اليه بدرجات واذا فناء له سقف وعلى جوانبه مصاطب ودكك . واذا مقاعد وثيرة فجلست على واحد منها واتجهت مع القوم بالتطلع نحو زاوية القهوة الى رداء ابيض من الشاش قد سد القرنـة ووراءه ضوء ينيره وقد جلس خلفه الممثل الشعبي ابو ناظم فاتخذ لنفسه شخصية كشخصية سيرانو دوبيرجراك عندما كان يناجي في الظلام روكسان . فجعل يتكلم ابو ناظم وراء شخوص من الجلود ربطت اطرافها ومفاصلها بمسامير وخيوط . وكانت تلك الليلة رواية شهدتها فضحكت ما شـاء لي الضحك وسري عني . والممثل من وراء السجاف يقلد صوت الطفل وكلام الشيخ وغنة الفتاة في شخوص « المدلل » و« عيواظ » و« زينب النصابة » ويزمر بشبابة بين حين وحين ويقرع دفاً وينقر عوداً حتى يخيل اليك ان له اعواناً تشترك معه في التمثيل وما هو الا وحده . وهذا غاية البراعة .

غير ان الفاظاً نابية ناشزة كانت تجري على لسان شخوص الكركوز . ولو خلا منها هذا التجاور ، ووضع الاذكياء روايات مخصوصة للكركوز ترمي الى الخلق والفن لاصبح هذا التمثيل الشعبي تحفة الشام في لياليها .

ولو عدت بالذكرى على جناح الخيال الى ماضي الشام قبل الف سنة وما يزيد عليها للقيت في دارات امية ليالي فواتن عرفها الخلفاء الامويون والامراء الشاميون كانت تحتضن فيها الاعواد الغيد الاماليد في جمـع من المعاميد وتدور الدنان على الكؤوس والندل والسقاة . والراقصات كن اللآلي في تلك الليالي . وان عدت بالدهر القهقرى جئت غسان في مرابعها فاذا اولاد جفنة في متنزه البريص وعندهم حسان في ليلة شامية ساحرة قمراء .

هذه ليالي الشام :

خالدات يزرين بالانهـار
قـد بدلن الشموس بالاقمـار
وتركن الزمان يروي هواها
ساحرات في هدأة الاسحار

زكي المحاسني — دمشق

المرأة والادب

•

بقلم سامي الكيالي
صاحب مجلة الحديث

في استطاعة المرأة ان تطمس معالم العبقرية عند زوجها او ان تساعده على اظهارها .

(لامار)

ما هو اثر المرأة في الادب ؟

قبل ان نلج غمار هذا الموضوع نريد ان نقول كلمة في المرأة ، في هذا اللغز الانساني اللطيف الذي حار الادباء والشعراء والفلاسفة في حله وجلاء خفاياه . نعم ، منذ ان وجدت المرأة على ظهر البسيطة الى يومنا هذا ، والمفكرون في حيرة دون ان ينفذوا الى اغوار نفسها ، وقد بدأت هذه الحيرة منذ بدء الخليقة .. هل هي منشأ الخطيئة الاولى ؟ هل هي التي اعطت آدم الثمرة المنهى عنها . هل هي ضعيفة تستحق الرفق والحنو . ام قوية يخشى بأسها وجبروتها ؟؟

يقول كاتب معاصر فكه (١) : ان المرأة شخصية مزدوجة بحكم الخلقة والطبيعة لا بحكم الاكتساب ، ولا بحكم الطوارئ . ولا بحكم التجارب فهي الجنة صباحاً والجحيم مساء . وهي البرد والسلام عصراً . وهي النار والسعير ليلاً . وهي الخادعة الفاتنة والمخدوعة المفتونة . وهي الخيرة المحسنة والشريرة الظالمة . وهي الضاحكة الباسمة والباكية القاتمة . وهي الوفية المخلصة وهي الخائنة الغادرة ، كل هذا قد يجتمع في مكان واحد ، وزمان واحد فان جهدت في كشف السر فشلت ..

والى هذا اشار المتنبي ، وهو يصف طباعها بقوله :

اذا غدرت حسناء وفّت بعهدها
فمن عهدها ان لا يدوم لها عهد
وان حقدت لم يبق في قلبها رضى
وان رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك اخلاق النساء وربما
يضل بها الهادي ويخفى بها الرشد

(١) الاستاذ فكري اباظه

ويقول جان جيرودو في مسرحيته « امفتريون » :

« ان المرأة مخلوق ثلثه عاصفة وثلثه هرة وثلثه زبد »

ويفسر الدكتور ناجي هذا الرأي بقوله ان المرأة تكون عاصفة حين يطلق لها العنان فتتحكم وتباح لها الحرية التي حرمت منها فتستبد ، وحين تجد من يدللها فتصير حاكماً بامره . وتكون هرة اي تنكمش وتداهن وتطلب الدفء . والامان في عهود الترف المقرونة بسيطرة الرجل وتكون زبداً حيث تكون الرجعية وحيث تكون الاحوال البدائية وحيث لا يكون لها من الامر الا ما هو مستطاع في طبيعة الانثى التي تلد وتربي .

وقد ذهب بعض الفلاسفة الى القول — وهو يثرثر — « ان الشيطان هو الذي خلقها بغير علم الله ، فلما نهض الله من نومه انب الشيطان على ما فعل ولكنه سمح للمخلوق ان يعيش فعاشت ووجد الرجل انها مليحة حسنة فأخذها بيدها وانطلق الاثنان يمرحان ويتناسلان حتى ملأت الارض ذريتها .»

والاقوال كثيرة عن هذه الانسانة اللطيفة التي تكمل نصف الرجل — هذه المخلوقة الفاتنة التي شغلت القلوب والعقول فكتب عنها عشرات المجلدات ومئاتها هي التي نريد ان نتبين مكانتها واثرها في الادب والادباء .

واذا كانت المرأة عند الكثيرين هي النفحة العلوية التي يرون في ابتسامتها ابتسام الحياة واشراق الكون له فان بعض المتشائمين قد رأوا فيها اراء مضطربة هي صدى لنزعاتهم التشاؤمية وانظاراتهم القاتمة .

كان شوبنهور مثلاً من ألد اعداء المرأة وكان يعيب تسميتها « الجنس اللطيف » في حين ان شكلها قبيح — قبحه الله — وخلقها لا تماثل فيه ولا تناسب ، وقوامها ينقصه الذوق الفني ، ولم يكتف بهذا الرأي الآفن بل هجا المسيحية وانحى عليها باللائمة لانها احترمتها وجعلت لها بجانب الرجل مقاماً رفيعاً .

ونيتشه كان اشد ازدراء واحتقاراً للمرأة من شوبنهور .

ورأي شيخنا ابي العلاء معروف فلا نتبسط هنا في سرده، كما لا نريد ان نزج صاحبنا توفيق الحكيم المتهم بعداوته للمرأة بين هذه الزمرة، فهو من هذه التهمة براء، وهو الذي استوحى المرأة في جميع كتاباته وقصصه، أليس هو القائل : « ان المرأة الجميلة في مجلس الادباء لها فعل السحر، تستطيع بغير عصا انتخرج جواهر البيان من افواه الادباء . »

وسواء تعددت الاراء حول المرأة بالخير او بالشر فهي منذ الخليقة الى يومنا هذا ما زالت تمثل دورها على مسرح الحياة بلباقة ودقة وحذر، وما زالت تلك الزهرة الجميلة التي تعطر اجواء الكون بأريجها العبق، والطائر الغرد الذي يسمعنا ارق الالحان واعذب النغمات، والحلم الذي يكشف لنا يقظة الحقائق، والضوء الذي لا نكاد نتبينه في ليل الحياة الطويل حتى ينير لنا الدنيا فنراها باسمة مشرقة الربيع ! أليست هي التي تطمئن حياة الرجل كزوجة وتحنو عليه كأخت وترعاه كأم ؟ أليست هي التي تنفخ في كيانه هذا الاشعاع العلوي الذي تتركه كانسان متفوق اشبه بالملهمين يبدع ويخلق ويأتي بالاعاجيب .

بلى . هي المرأة التي اجمعت كل الامم وفي كل العصور على تقديسها، ولا عبرة لبعض المتشائمين الذين وصموها وصمات مخجلة . فلو بحثنا عن العوامل الخفية التي دفعت شوبنهور مثلاً ان يكتب عنها ما كتب لرأينا فشله في الزواج من جهة، والخلاف الذي استحكم بين امه وابيه من جهة ثانية، ثم فرار امه ووقوعها في الهاوية من جهة ثالثة . كل هذه العوامل هي التي حفزته ان يقول قولته السوداء في المرأة، وقل مثل ذلك عن غيره، ولأن خص ابو العلاء المرأة ببعض لزاته فقد خص الرجل كانسان باقوى مما خص به المرأة .

فتشاؤم ابي العلاء ليس خاصاً بالمرأة فحسب بل بالانسان الذي يخفي وراء انسانيته الظاهرة البراقة انسانية مظلمة كاذبة شريرة خادعة لا تعرف غير البغض والحقد والمكر والتلون . وهذا ما لم يستطع ان يحتمله رجل حساس وانسان متفوق بلا الحياة وعرف اخلاق البشر كأبي العلاء .

وكأني بشيخ المعرة وفيلسوفها الحكيم اراد ان يحمي المرأة من براثن الرجل قبل ان يكيل لها الذم فهو يحذرها من القس اذا ذهبت الى الكنيسة، ومن الامام اذا ذهبت الى الجامع . وقد رمز الى القس والى الامام لانهما يمثلان انقى صفات الكمال في الانسان المتقشف الزاهد، ومع ذلك فقد خاف فيلسوفنا عليها منهما، خاف عليها من انياب الرجل الحادة واظفاره المسنونة . اسمعوه يقول :

شر على المرأة من حمامها
ارسالك الفاضل من زمامها
ومشيها تضرب في اكامها
يفوح ريّا الطيب من امامها
زائرة المسجد في المامها
تأثمُ والخيبةُ في ائتمامها
بأحدل ما عف عن كلامها
اعاذها الخالق من امامها

أيدافع المعري عن المرأة ام ينتقصها ؟ لا شك انه الى وصفه مفاتن الاغراء في طبيعتها يدافع عنها ويحذرها من اهواء الرجال . هذا رأيي اطلقه على علاته وانا واثق ان احداً لم يفسر رأي المعري هذا التفسير الذي احمل تبعته بكل اطمئنان .

بعد هذه التوطئة نتساءل ما اثر المرأة في الادب ؟ .

فالواقع، ان اكثر من اديب واحد من افذاذ الادباء العالميين الذين خلدت آثارهم مدينون في ابداعهم الفني « الى المرأة التي جعل الله في فطرتها نوعاً من السحر والخلابة والجمال هو الذي يسمو بخيال اهل الفن الى ما يبدعونه في آثارهم الفنية، ويلهم الشعراء روائع الشعر، ويذكي في قلوب المحبين نار العشق العظيم، واذا كان جمال الحياة فناً وشعراً وحباً فان المرأة هي التي تبني كل ما في الحياة من معاني الجمال .»(١) .

وكأنما شاءت الاقدار ان تختص المرأة بهذا السر الذي يوحي للادباء والشعراء والفنانين .. اي سر هذا ؟ .. قد لا يستطيع اقدر الكتاب على تحليله . وكثيراً ما تمر بالشاعر والفنان رعشات غريبة حين يستوحي امرأة جميلة سرعان ما تنقله من عالم غير عالمه الى عالم سحري مليء بالطيوف والاحلام — واذا نحن — وقد رسم خلجات نفسه واهتزازات عاطفته — امام قطعة من الادب

(١) الشيخ مصطفى عبد الرازق .

الرفيع نلمس فيها اصدق احاسيسنا واعمق خوالجنا النفسية وقد لا تكون بين الكاتب والمرأة التي يستوحيها اية علاقة او صلة اللهم الا هذه الصلات الحسية التي تربط بين الفن والجمال وبين الشعر والالهام . وكثيراً ما نشاهد اديباً او شاعراً قد جاس في ركن منزو يتأمل امرأة جميلة وينظر اليها نظرات علوية بينما المحيطون بها ينظرون اليها نظرات سفلية ، حسبه منها النظر العف والتأمل العميق، حسبه منها صوتها الرقيق الحلو ذو الجرس الموسيقي الساحر الذي يستحيل في اذنه الى نغمات ، حسبه نظراتها الصافية العميقة التي تستحيل في نفسه الى بحيرة جميلة من الحنو والحب والشوق والامل والفرح . وهذه هي بواعث الالهام التي تضفي على ادب الاديب وشعر الشاعر وفن الفنان اصدق الآيات التي تخلدمع الايام . هذا الوحي الذي تفيض به المرأة على الكاتب .. اين حدوده ؟ .»

هنا العقدة : هل يشع نوره في ضوء من الحب الافلاطوني البري. ام هذه الصلات الحسية الواقعية بين الرجل والمرأة ؟ وبدون انكار اثر الباعثين فان الوحي لا ينزل على الملهمين الا من مصدر علوي ولكي يلعب الوحي اثره في نفس الكاتب يجب ان تظل المرأة في افقها العلوي وطهرها الملائكي وهو ما يطلق عليه « الحب العذري» وفي تاريخنا الادبي عشرات الامثلة على اثر هذا الحب في نفوس الشعراء المتيمين ، وقبل ان نسرد الامثلة ننقل رأياً لعالم سيكولوجي عن المعجزات الفنية التي قامت بها طائفة من كبار رجال الفن والادب تحت تأثير المرأة . يقول هذا العالم .

« ان الغرام العذري هو الذي يلهب حاسة الخيال في ذهن رجل الفن ، وهو الذي يدفعه الى مواصلة العمل والانتاج وذلك لان امتلاك المرأة المحبوبة يجردها من اطارها الشعري اولا ، ويحول بين الاديب والفنان وبين اتخاذها مادة للوحي الفني ثانياً .

فالوحي الفني لن يكون خصباً الا متى انحدر من امرأة لم تلوثها العلاقات الجنسية . وفي تلك الحالة تظل المرأة مخلوقة من جمال ونور . ويظل الاديب او الفنان مولعاً بها ساعياً جهده لتحقيق علاقته الصميمة بها عن طريق الفن او الادب فقط . وكلما اجتهد الاديب او الفنان في تطهير حبه من العلاقات الجنسية عوض عن هذا النقص بالانكباب على الانتاج الادبي او الفني ثم رفع انتاجه وقدمه الى المرأة المحبوبة كهدية او قربان . وكلما انحطت علاقات الاديب او الفنان بالمرأة قل انتاجه ووجد في اللذة البدنية كفايته ولم يعد يشعر بالحاجة الى الادب او الفن باعتبارهما غاية حياته .

ويضرب هذا العالم امثلة كثيرة لتعزيز هذه النظرية التي يقتبسها من الغرام العذري الذي احس به الشاعر بترارك من لورا . وبوشكين من غراسيا ، وتورغنيف من مدام فباردو ويثبت اخيراً ان انتاج اولئك الادباء كان خصباً قويا خلال الفترة التي كانوا فيها عذريين وان ذلك الانتاج قل وضعف في الفترات التي استسلموا فيها لمطالب البدن واحكام الغريزة .

وفي ادبنا العربي كما قلت عشرات الامثلة على هذا الرأي . نعم فالغرام العذري قد مثل دوره في قلوب المجنون وقيس وكثير وجميل وغيرهم وغيرهم وكان من اثر هذا الغرام ان ظفر الشعر العربي بقصائد غاية في العذوبة والرقة وتصوير منازع النفس واهواء القلوب . ولهذا الادب لونه وطابعه وهو لون جميل من الحرقة والوجد ، من البكاء والحنين ، من الالم والعذاب ، من الشوق والهيام ، من الطيوف والاحلام كان للمرأة اثرها في خلقه . واستطيع ان اقول — وقد رسم الشعراء خلجات نفوسهم بحرقة كأنها وقدات من نار — استطيع ان اقول ان الشعر الغزلي والشعر الغنائي في الادب العربي — بل في جميع الاداب العالمية — مدينان بوجودهما للمرأة والمرأة فقط .

على ان اثر المرأة في الشاعر او الاديب او الفنان لم يظل عند هذه الطيوف الزاهية الجميلة من عالم الحس والوجد بل كان لاتصالها المباشر بهم أبلغ الاثر لا في انتاجهم فحسب بل في تلوين حياتهم وفي تاريخ الاداب عشرات الامثلة ومثاتها على ذلك ، وفي ادبنا نذكر عنيزة وليلى ولبنى وتوبة وبثينة وعزة واسماء وعفراء والميلاء وهند ومي والثريا وسلامة وام البنين وزينب وعتبة وفوز وعلواء وامامه والولادة وكثيرات غيرهن ..

فلولا عنيزة بنت عم امرىء القيس لما رأينا في شعره المتماثل الوعر هذه المسحة الرقيقة في تصوير المرأة الجاهلية تصويراً واضح المعالم ، يصف ادق ناحية في جسمها ولا ينسى ان يصف مظاهر الازياء في عصرها .

ولولا الثريا — وما اكثر ثريات ابن ابي ربيعة — لما قرأنا اخلد آيات الشعر الغزلي في صدر الاسلام واشهى قصص الحب التي لا تقل في روعتها عن احاديث بيير لوتي عن عشيقاته التركيات .

ولولا ليلى لما كانت قصة المجنون .

ولولا لبنى وتوبة لما كان قيس بن ذريح ولما تناقل العشاق

شعره كعلاج مخدر للمصابين بحرقات الغرام .

ولولا «عزة» لما تمتعنا بشعر «كثير» واقاصيصه العذاب .

ولولا «بثينة» لما قرأنا حرقات جميـل في مقطوعاته الوجدية وقصائده الغنائية .

ولولا سلامة لما لمسنا في شعر الاحوص هذه الطيوف الماجنة في تصوير خلجات النساء .

ولولا فوز لما ترك لنا ابن الاحنف اجمل ابيات الشعر الوجدي الرقيق .

ولولا وحيد المغنية لما ترك لنا ابن الرومي قصيدته الدالية التي يعتبرها المازني ليست من اجمل الشعر العربي فحسب بل من اجمل الشعر العالمي في تصوير منازع الحب والجمال .

ولولا علوة لما ابدع البحتري غزلياته الصافية التي تصور مباهج الحب في ربوع الجزيرة ومنبج كانها اشراقة الربيع .

ولولا الولادة لما خلدت قصائد ابن زيدون وموشحاته الاندلسية .

وبعد فلولا «شهرزاد» ولداتها الفاتنات الساحرات في قصة الف ليلة وليلة لما خلد هذا الكتاب الذي نقل الى اكثر لغات العالم بينا نقرأه في العربية بطبعته السقيمة المشوهة . فمن الذي كتب هذا الكتاب ؟ لن نخوض في هذا الموضوع ولكن مما لا شك فيه ان الذين كتبوه قد استوحوا المرأة . . فلولاها . . لولا دلها وسحرها وفتنتها وعبثها واقاصيصها العذبة لما ظفرت العربية بهذا الكتاب الذي يحتل مكانته بين انفس الكتب العالمية القصصية .

هذه لمحات سريعة عن اثر المرأة في شعراء العرب فما هو اثرها في شعراء الفرنج ؟ .

ان اثرها ابلغ . . والمجـال لا يتسع لسرد الامثال الكثيرة فحسبنا هذه اللمحات الموجزة عن الافذاذ الخالدين . . .

فهذا غوته ، شاعر الالمان الفذ ويكاد يكون مديناً بخلود اجمل رواياته الى المرأة — الى صواحبه الجميلات — وقراء العربية مفتونون بروايته «آلام فرتر» وربما لا يعلم البعض ان هذه الرواية هي ثمرة عشقه لشرلوت بوف وان مرغريت بطلة روايته الخالدة «فاوست» لم تكن الا انا اليصابات شومان — تلك الفتاة التي خلد ذكرها باسم ليلي والتي كانت الاولى والاخيرة التي انطوى قلبها على اصدق الحب — تلك الفتاة العابثة اللعوب التي شبهها بالساحرة اليونانية التي كانت تمسخ من تحبه حيواناً سلس المقـادة يهبط في حبها حيث يشاء » (١) .

ولامارتين الشاعر الفرنسي مدين بروايته الرائعة « روفائيل » الى جوليا التي فتنه منها ملامحها الشاعرة وقسماتها الرائعة فاتصل بها واغرم بحبها وقضى معها ثلاثة اسابيع على ضفاف بحيرة بورجة «ذاق فيها حلاوة الغزل الجميل ولذة الحب النبيل ورقة الشعور المحض ولم يكد يجدد معها موعداً للقاء جديد حتى فوجىء بنعيها فهاله الخبر وبرح به الحزن وانبجس الدمع من عينيه والشعر من قلبه فأتى في رثائها وذكراها بالمعجب المعجز ، وقصائده في « الفير » وهو اسمها المستعـار اشد ما في ديوان التأملات استهواء للشعور وامتلاكا للنفس » (١) .

وقل مثل هذا عن دانتي الذي احب بياتريس وهي في اول تفتحها للحياة وما زال هذا الحب ينمو ويشتد حتى كان اثره قويا في نفسه وفي ادبه وفي العوبته الالهية .

واثر النساء في التمهيد لخلود عبقرية جان جاك روسو غير منكور .

واثر فاني براون بالشاعر الانكليزي كيتس واضح الاثر جداً فلولاها لما ظفر العالم باعظم ما انتجت عبقرية كيتس من امثـال قصائده . . الى البلبل والنجم المتألق . . وغـيرها من فرائد الادب العالمي .

وتيريزا الجميلة التي فرّت من زوجها الكونت الايطالي وعاشت مع الشاعر الانكليزي بيرون ؟ لقد كانت تؤثر حبيبها على نفسها، تحثه على النظم وتعمل على اذاعة شهرته وتخلص له الخدمة والولاء وتمنعه عن متابعة عاداته الرديئة .

والفرد دي موسه هل صفا شعره ورق الا بعد ان احب واخلص في الحب كما يقولون .

ورينان أليس مديناً الى اخته هنريت التي وجهته في اخريات ايامه وجهات صوفية نحو معالم اليقـين بعد ان كان من كبار المتشككين .

واناتول فرانس جرد ادبه من روح المرأة فهـل تستطيع ان تهضم شكوكه الفلسفية ولا ادريته الهازئة الساخرة .

ومكسيم غوركي الاديب الروسي العالمي ان حيـاته مقرونة بحياة ليزا سولوكولوف تلك الفاتنة التي ايقظت فيه نزعة المحبـة وعلمته معنى الرحمة بعد ان كان مأخوذاً بتعاليم استاذه الالماني نيتشه وجعلت منه ذلك العبقري الانساني النبيل الذي عاش ومات مجاهداً في سبيل البؤساء والمحرومين .

وبييرلوتي أليس ادبه ممزوجاً بسحر المرأة واقاصيصها المغرية . .

(١) تذكار جيتي للعقاد

(١) مقدمة رفائيل للزيات

لقد كان المرأة التركية التي خلد فتنتها وسحرها اثرها العميق في نفسه وعامل قوي في اشراق ادبه ..

ويجرنا ذكر بيير لوتي الى ذكر عبد الحق حامد شاعر الترك الاعظم فقد مثلت زوجه (فاطمه) في حياته اكبر دور فلما فقدها في بيروت وهو في طريقه الى الاستانة بعد عودته من الهند حيث كان سفيراً للدولة العثمانية — كتب ديوانه « مقبر » الذي صب فيه احر عواطفه الانسانية في الالم والخلود وفي فلسفة الموت ومن الغريب ان يترجم هذا الاثر الى نيف وثلاثين لغة دون العربية ، وبعد وفاة فاطمة تزوج لوسيان بعد ان انحدر من الكهولة الى الشيخوخة اي بعد ان باعد العهد بينه وبين ذكرى زوجته التي رثاها بديوانين آخرين ، لقد لبثت لوسيان معه حتى الساعات الاخيرة من حياته وكانت مصدر الهامه ووحيه واليها يرجع الفضل في اثارة عبقريته وعدم همودها حتى في السن التي يقف فيها الاديب المتهدم عن الانتاج .

وجبران خليل جبران أليس مديناً بروايته «الاجنحة المتكسرة» الى سلمى كرامه — وهو الاسم المستعار للفتاة (.. ؟) الفتاة اللعوب التي أيقظت روحه بمحاسنها ومشت امامه الى جنة العواطف العلوية حيث تمر الايام كالاحلام وتنقضي الليالي كالاعراس .

ويكاد يكون الدكتور طه حسين الاديب العربي الوحيد الذي يعترف بانه مدين بادبه الى زوجته سوزان المرأة الفرنسية النبيلة القلب الرقيقة الشعور — فلا يكاد يظهر كتاب من كتبه حتى يهديه الى التي كانت له نوراً بعد ظلمة وانساً بعد وحشة ونعمة بعد بؤس .

اذن فهند ودعد وعفراء وعلواء وشرلوت والفير وفاطمة وسلمى ومن اليهن من اللدات الفاتنات قد كان لهن اكبر الاثر في الانتاج الادبي وهذا هو سر المرأة .

ومن الغريب ان يكون للمرأة اثرها في الشاعر حتى ولو لم تتمتع بهذه الخلابة التي تتمتع بها المرأة الجميلة وكأنما الانوثة وحدها هي التي تثير البواعث الملهمة في قلب الشاعر . نعم قد تستهوي المرأة الشاعر او الفنان دون ان تكون الهة من آلهات الجمال وقد يرى فيها سحراً وجاذبية لا يراها الاخرون وسر ذلك ان جمال المرأة ليس في بدنها فحسب بل في روحها وما تضمره في اطوائها من ملاحة وجاذبية وفتنة فبودلير مثلا قد تمثل شذوذه في سوداء وآثرها على سميتها البيضاء وعشق السمراوات لاعتقاده انهن اقرب الى الشعور بكل ما يفيض به الحس من الشقراوات ومن ديوانه ازهار الشر المتوقدة استمد افكاره المضطربة وصاغ اشعاره المثالية التي وصفت بانها تلمع كالرخام الاسود .. وفي كتب الادب العربي ان عبد الملك بن مروان رأى بثينة بعد موت جميل فأنكرها وقال لها : ماذا رأى فيك جميل حين هام بك وانت حمشاء ادماء دقيقة الساقين حديدة العقبين ؟ فأجابت بجدة : لقد رآني جميل بعينيه لا بعينيك يا امير المؤمنين .

ووصف ذو الرمة صاحبته للفرزدق ثم اراه اياها بعد ان اسمعه وصفها فقال الفرزدق والكني لا ارى شيئاً مما تصف .

قال اسكت فض الله فاك والله انت لترى كل شيء ولكن الحسد أكل قلبك فانصرف الفرزدق وهو يضحك من سخرية صاحبه .

نخرج من هذا الى ان المرأة هي دائماً ذات تأثير مباشر في فن الاديب فيعكس في ادبه ما يراه في ذاتيتها من عوالم مشرقة او قاتمة ويظل اثرها هو هو في تلوين ادبه وامداده بالوحي الذي يفيض عليه الحياة وقوة الخلود .

على اننا لا نريد ونحن نختم كلامنا ان نقول ان المرأة هي التي خلقت كل هذه الثروات الادبية، لا .. اننا ان حكمنا هذا الحكم المجرد نكون اهملنا حوافز العبقرية في الاديب او الشاعر . ولكننا اردنا ان نقول ان كثيراً ما تكون عبقرية الاديب نائمة وقد تغفو طويلاً فلا تلبث ان تستيقظ على نغمة من صوت فتاة او نظرة من عيون امرأة . وهنا سر الوحي وهنا يتجلى اثر المرأة في بعث الادب وتوجيه العقول نحو غاياتها المثلى . واذا كان التاريخ يحدثنا احاديث طويلة عن اثر المرأة في اشعاع الرسالات وتوجيه السياسات عن اثر كليوباترا في قيصر وخديجة في محمد وجوزفين في نابوليون مثلاً فبديهي ان يكون اثرها في حياة الاديب انفذ واعمق .

سامي الكيالي

تقاليد لبنانية

بقلم شفيق طباره

لفت نظري وانا ادرس الحياة الاجتماعية في لبنان ما رأيت من شيوع عادات تأصلت بيننا مع توالي القرون وتعاقب الدهور وما زلنا نتشدد في المحافظة عليها حتى اصبحت من تقاليدنا الخاصة التي ننفرد بها عن الامم فرأيت ان اعرض لها في هذا المقال بعد ان تهيأ لي بحثها وتحليلها وتفسيرها تفسيراً يحتاج لمعرفته كثير من هذا الجيل .

فمن عاداتنا العريقة في القدم عادة نزع النعال عندما ندخل البيوت والمساجد لا للنظافة فحسب بل للاحترام اعتقاداً منا ان البيت مدخل كريم والمسجد مقام شريف لا يصح ان يطأهما الناس بنعالهم فقد كان الاقدمون لا يدخلون اماكن العبادة الا بعد ان يخلعوا احذيتهم ويغسلوا ارجلهم واول من خلع نعله لدخول الكعبة الوليد بن المغيرة فخلع الناس نعالهم . وهذه العادة تعود الى عهد بعيد في التاريخ عندما نادى الله موسى من جانب الطور وكلمه قائلاً كما ورد في القرآن الكريم (فلما اتاها نودي ياموسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى) وجاء في التوراة (قال الرب موسى موسى قال هاءنذا فقال اخلع حذاءك من رجليك لان الموضع الذي انت واقف عليه ارض مقدسة) .

ومن العادات التي نحرص عليها : عندما يموت احد الناس بيننا تتقاطر وفود المعزين الى بيته فتمتلىء بهم ارجاء الدار وما يجري اليوم كان مثله قديماً فقد ذكر يوحنا في انجيله (وكان كثيرون من اليهود قد جاؤوا الى مرتا ومريم يعزونهما عن اخيهما اليعازر) ومن عاداتنا في المآتم ان يجالس اصدقاء الميت وعارفوه بين اهله ويشتركوا معهم بالبكاء والندب عليه . وعادة الندب على الاموات نقلناها عن بني اسرائيل وقلما توجد كلمة (الدفن) في العهد القديم الا مصحوبة بالندب . والمآتم تشغل عندنا الايام الثلاثة الاولى التي تعقب الوفاة وتتجدد في اليوم السابع ثم في ختام الاربعين . ففي اعمال الرسل ان السيد المسيح قال لتلاميذه قبل الصلب انه سيقوم من القبر بعد ثلاثة ايام فاستمروا يتربصون ظهوره في هذه المدة وهم في غاية الحزن حتى حصلت قيامته . ويذكرنا اليوم السابع باصدقاء ايوب الثلاثة الذين جاؤوا ليعزوه في مصابه كما ورد في سفر ايوب (وقعدوا معه على الارض سبعة ايام وسبع ليال ولم يكلمه احد بكلمة لانهم رأوا ان كآبته عظيمة) وما زلنا نقيم الحداد على الموتى في هذه الاوقات معتقدين ان الميت يفوز بالزلفى ويحظى باكرام المثوى كما حصل للسيد المسيح .

واعتاد بعض النسوة عندنا ان لا يفطمن اطفالهن الا اذا بلغوا العامين فقد شاهدت في انحاء الجبل من يرضعن اولاداً بلغوا الثالثة من سنيهم والرضاعة المتأخرة لها فائدتها الصحية اذ لاطعام للطفل اسلم من حليب الام . ففي سفر المكابيين (ارحمني انا التي ارضعتك ثلاث سنين) قالت ام المكابيين حضاً لولدها البكر على التضحية وجاء في القرآن الكريم (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة) ومن اقوالنا المأثورة عبارة (شبعان من حليب امه) ننعت بها الشجاع لرضاعته الكاملة .

ثم ان الجرة ما زالت عندنا تستخدم لاستقاء الماء فكثيراً ما نرى الفتيات في قرى الجبل يستقين الماء بجرارهن ويحملنها اما على الرأس او على الكتف اسوة بما كان يحدث في عهد سيدنا ابراهيم فقد جاء في سفر التكوين (فقال العبد ها انا واقف على عين الماء وبنات المدينة خارجات ليستقين ماء. واذا بامرأة ناحور فركضت للقائها وقلت اسقيني قليل ماء فانزلت جرتها على يدها وسقتني .)

ومن المجاملات التي ما برحنا نحافظ عليها ونعدها من باب الاكرام عادة الوقوف للقادم فقد وصف ايوب في التوراة شبابه اذ كان في رخاء العيش ونعمة الحياة وقال من لي مثل الشهور السالفة حين كان يراني الشبان فيتوارون والشيوخ يقفون منتصبين) اما احتجاب الاولاد فهي كذلك من مألوف عاداتنا حيث نجد الكثيرين من المحافظين يحرصون على اقصاء اولادهم عن مجالس سمرهم ولا يشركون الصغار في مجالس الكبار .

وغسل اليدين قبل الطعام من العادات القديمة المرعية اليوم

فقد جاء في انجيل مرقص (فاجاب يسوع لان الفريسيين وكل اليهود ان لم يغسلوا ايديهم باعتناء لا يأكلون متمسكين بتقليد الشيوخ) ومن اقوالنا (غسل فلان يده من المسألة) او (غسل يده من دم فلان) ويرفق القائل هذه العبارة بفرك بطن اليد الواحدة على الاخرى مرة او مرتين للدلالة على ان قائلها بريء مما نسب اليه او انه لا يعنيه من الامر شيء. وتذكرنا هذه العادة ببيلاطس ففي انجيل متى (فلما رأى بيلاطس ان لا ينفع شيئاً بالحري يحدث شغباً اخذ ماءاً وغسل يديه امام الجميع قائلاً: (اني بريء من دم هذا البار) وعادة غسل اليدين اشارة الى البراءة كانت معروفة عند بني اسرائيل. فقد كانوا فيما سلف اذا وجدوا جثة قتيل ملقاة في حقل ولا يعرفون القاتل يعمدون الى اقرب القرى فيأتون بشيوخها ليغسلوا جميعهم ايديهم فوق رأس القتيل ويثبتون بذلك براءتهم. جاء في سفر التثنية (وكانوا يغسلون ايديهم ويصرخون ويقولون ايدينا لم تسفك هذا الدم واعيننا لم تبصر فيغفر لهم الدم)

ومعروف عن الشرقيين ولا سيما نحن اننا اكثر الامم عناية بلحانا يتزين بها عندنا رجال الدين وبعض اهل العلم ويعدونها مجلبة للهيبة مدعاة للوقار. واحترامنا للحى لم يتبدل مع تعاقب الاجيال ففي حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام انه امر بتسريح اللحى وقال (الهيبة باللحى) وقال (احفوا الشوارب واعفوا اللحى وخالفوا المجوس) وهكذا قال الله لموسى في شريعة اللاويين (كلم كهنة بني هارون وقل لهم الا يجعلوا قرعة في رؤوسهم ولا يحلقوا لحاهم) وفي نظري ان النبيين العظيمين انما عمدا الى هذه التدابير ليميزا بين قومهما والوثنيين الذين كانوا بدون لحى ويشهد على ذلك صورهم المنقوشة ومومياؤهم فضلاً عما ورد في سفر باروخ.

ومن العبارات الشائعة قولنا (بيني وبين فلان خبز وملح) او ميثاق ملح اي عهد صداقة وتذكرنا هذه العبارة بالسامريين الذين ارادوا ان يثبتوا امانتهم الى الملك فقالوا في رسالتهم اليه (لن ننسى ابداً الملح الذي اكلناه في قصرك) ويقول المؤرخون ان العرب كانوا يحلفون بالملح اي بالصحبة وما زال اهل البادية عندما يريدون ان يعقدوا محالفة او عهداً يأخذ كل من المتعاقدين لقمة خبز ويغمسها في الملح ويتبادلان اكلها وهذا الاتفاق المتبادل هو في نظرهما غير قابل الانفصام فالذي يفسخه يعد خائناً. والظاهر ان فكرة الامانة المقرونة بالملح في مثل هذه العهود متأتية من ان الملح يحفظ الصداقة كما يحفظ المواد الحيوانية والنباتية من الفساد.

وجرت العادة عندنا انه عندما يمر بعض الناس بكروم من العنب او التين لا يجد احدهم حرجاً من قطف ما شاء من الاثمار واكلها من غير مقابل فاذا اعترض صاحب الكرم على هذا العمل ينحي الناس باللائمة ليس على من قطف الاثمار بل على صاحب الكرم وينعتونه بالبخل. جاء في شريعة موسى سفر التثنية (اذا دخلت كرم صاحبك فكل عنباً حسب شهوتك ولكن في وعائك لا تجعل) وما زلنا نرى بعض اصحاب الكروم وحراسها اي (النواطير) في انحاء الجبل لا يعترضون من يأكل عنباً من الكرم بشرط ان لا يحمل معه شيئاً.

ومن شأن الكثيرين بيننا ان يتناولوا الطعام باليد من غير ان يستعينوا بملعقة او بسكين فيأكلون من طبق واحد مثلما كان يجري قديماً بدليل ما ورد في انجيل متى (فاجاب يسوع وقال الذي يغمس يده معي في الصحفة هو من يسلمني) ويعني به يهوذا الخائن.

والخبز من اقدم الاطعمة التي صنعها الانسان واشتركت جميع الامم في اتخاذه طعاماً اساسياً يؤكل مع غيره من صنوف الاطعمة انما اختلفوا في طريقة صنعه ونحن ما زلنا نتبع الطريقة القديمة في تحضيره وقد انفردنا عن غيرنا من الشرقيين في تفويضنا طحن القمح وعجن الدقيق وصنع الارغفة وخبزها الى النساء. ففي سفر ارميا (الاباء يوقدون النار والنساء يعجن العجين) وقد وجد الاثريون في قبور القدماء وفي مغاور الجبل خبزاً مصنوعاً ارغفة مستديرة وقد ذر عليها مسحوق بعض البذور كما نذري حب السمسم او البقم على الخبز وفي التوراة اشارات كثيرة الى انه كان في كل بيت (تنور) خاص لصنع الخبز كما هي الحال في الجبال.

هذا بعض ما حضرني من العادات التي يرعاها الكثيرون بيننا في اعمالهم اليومية ولا يدرون مصدرها وهناك عادات ثانوية كاستعمالنا المطاحن الحجرية والنوم على السطوح واطلاقنا كلمة (ابن) و (بنت) ونعني اسم الاجداد كقولنا مثلاً مريم بنت عمران ويسوع بن داوود ثم ان موكب العرس الذي نسميه (زفة العرس) ما برح الى الان كما كان في قديم الزمان. ولا ريب انني فيما اوردت قد ألممت بجل العادات التي ورثناها من العصور البائدة وما زلنا نحافظ عليها بالرغم من اختلاف الظروف وتغير النظم لاننا نرى في المحافظة على التقاليد القديمة اتصالا بالاجيال الماضية وعاملاً من عوامل الدوام والاستمرار.

شفيق طباره

اخاف من الظلام

للاستاذ ميشال ابو شهلا
صاحب جريدة الجمهور

●

محبكَ لا فتى يشقى سواه ... ولا هم كما حملت خطاه
تكلف بسمة الهاني ولكن ... على يأسٍ عميقٍ، لو تراه
ويبدو للعيون قرير عينٍ ... وما قرّتْ، وعينك، مقلتاه
عليلٌ ضاقت الدنيا عليه ... وآساه الحبيب فما شفاه
يحنّ الى لياليه الخوالي ... حنين فتى العشيّ الى ضحاه
يحسّ الاربعين عليه وقراً ... تنوء به مرزحة قواه
ذوت في ظلها خضر الاماني ... وعهد الاربعين سناً وجاه
بكيت جوى على الافياء تضحو ... ويصبح روضها وعراً رباه
ويهجرني الشباب فلا مراح ... ولا كأس تشع ولا مياه
ولا عود يطيب له شميم ... ولا صوت يجاذبني نداه
انا في وحشةٍ لا انس فيها ... سوى بوحِ الفؤاد بمشتكاه
ومن حولي فسيح من شحوب ... تطاول، كيفما ارنو، مداه
ارى عمري يغيب كوقع صوت ... تلاشى في هدير من صداه
وفي قلبي الى فجر جديد ... تعطشه الى فجر طواه
اذا مرّ الصباح نزحت دمعي ... على يوم اواريه ثراه
اخاف من الظلام وكنت قبلاً ... احب الليل لا يفنى دجاه
فيا مرح الشباب ورفت ظلاً ... ودام لك الصبا ترعى حماه
سألتك، ان بي للحب شوقاً ... فلا تمنع على حبي مناه
ودعْ قلبي على مهلٍ يعاطي ... ثمالة ما ترسّب من هواه

تغلب الطبيعة ...

بقلم و. ا. سنكلر

ثمة امر يتعلق بالتربية النازية فكرت فيه ملياً في المدة الاخيرة ، هو ان النتائج البعيدة لهذه التربية ستختلف عما ينتظره المراقبون الاجانب ويرجوه النازيون انفسهم جد الاختلاف . والواقع ان في لهجة الدعاية الالمانية الموجهة اليوم الى الالمان في عقر دارهم ، ما يثبت ان هذه النتائج غير المتوقعة قد جاءت فعلاً .

تعلمون كيف ألغى النازي نظام التعليم الالماني السالف وابدلوه بنظام جديد يستهدف مسخ الالمان ، ولا سيما الشبان والاولاد،اشخاصاً متعصبين من غير تفكير ، وآلات بشرية يسيطر النازي عليها ويوجهون حركاتها وفقاً لاغراضهم الخاصة . ويبدو لي ان النتيجة لم تكن في النهاية الحصول على هؤلاء المتعصبين الذين لا يرون من الامور الا وجهاً واحداً ، بل بالعكس على مجان مستهترين افعمت قلوبهم فشلاً وخيبة . اجل ، ان النظام التربوي الجديد أنتج في البداية اناساً وحيدي الوجهة في تعصبهم وتحمسهم ، لكن لم يلبث المتعصبون المتحمسون المصطنعون ان شعروا على كرّ الاعوام بان الحياة فقدت كل ما يتحمس له ، فعمدوا الى تناول متعة الحياة كيفما تيسر وحيثما ثقفت ، وأصبحوا لا يجدون الا في المصالح المادية الصرف ما يستهويهم . على ان هذا لم يجعل المخلوق النازي اقل خطراً ،فهو ما انفك شديد الخطر علينا كما كان . كل ما في الامر ان هذا التبدل يجعل النازي مادة لدرس نافع ، فهو انموذج لما يظهر انه القاعدة العامة في سياسة المجتمع الانساني . اذا اوتيت سلطاناً مطلقاً على اي مجتمع انساني ، فأردت ان تحدث فيه تأثيراً معيناً ، فقد يكون لك ذلك على وجه العموم . لكنك قد تقع في الوقت نفسه ، دون انتظار على نتائج اخرى لم تتعمدها ، بل تختلف تماماً عما تريده وتتوقعه .

ويعن لبالي هنا حادث ذو صلة بما نحن في صدده ، حدث في محل لتربية المواشي ، اذ اراد اصحابه ان ينتجوا بقراً هادئة مستكنة وفي الوقت نفسه غزيرة الحلب . لقد رأى اولئك البقارون ان اكثر البقر دراً لا تجديهم نفعاً اذا لم تكن سهلة القياد تسكن اليهم ليحلبوها ، فانصرف العلماء الى دراسة خاصة لوراثة مزية الانقياد ولين العريكة في البقر والثيران ، وعملوا على انتاج بقر سهلة المراس ، فنجحوا وحصلوا على نتاج من البقر الهادئة الطيعة . لكنهم الى جانب ذلك وقعوا على نتيجة لم تكن تخطر لهم ببال ، وهي ان الذكور التي نتجت مع تلك البقرات الطيّعة جاءت من اصعب الثيران قياداً ، بل من اشد الحيوانات اذية . فالاسد والنمر معروفة طباعهما ، وفي المستطاع التحسب لضراوتها . اما تلك الثيران فهي تبقى خلال شهور طيّعة هادئة كالغنم ، ثم لا تلبث ان تهيج فجأة ، فتهاجم الرجل الموكل باطعامها ، فتبقر بطنه وتطرحه ارضاً ، ثم تعركه عرك الرحى ، وكأنما تعمّدت قتله . ومن الحسن ان يقدم هذا الحدث البيولوجي كمثال نافع لاولئك المتهوسين الذين يعتمدون النظريات وحدها ، في رسمهم الخطط التي يزعمون ان فيها حلاً لكل المعضلات الانسانية . فهذه الخطط قد تأتي بالنتائج التي يتوقعها راسموها ، لكنها تأتي ايضاً باكثر من تلك النتائج التي ارادوها . فليس البشر والمجتمعات البشرية من البساطة بحيث يخالون .

واحسب ان حكومة النازي في مناهجها التربوية تعاني اختباراً شبيهاً باختبار اولئك البقارين . فهذه المناهج قد احدثت في البدء عند الشبيبة الالمانية الحالة الذهنية التي استهدفوها ، لكن هذا المزاج تطور فيما بعد تطوراً لم يريدوه ولم يرموا اليه ، بل اصبحوا يرونه صعب القياد شديد الخطر . وهذه النتيجة هي ، ولا مراء ، ما يسع كل دارس للطبائع البشرية عموماً ان يتنبأ به ، حتى وان لم تكن له خبرة بقضية المانيا النازية . تلك هي الطبيعة الانسانية ، وقد يكون من المفيد ان نعلم لما هي كذلك . لكن ليس هذا من قصدنا الان . كما انه لا يعنينا ان هذا الحادث الملاحظ ، من الحوادث الطارئة على النفس الانسانية ، يبدو مكتنفاً بالاسرار ، فهذا ما لا يبرره ولا يدفع ضره . ومن الاحداث المكتنفة بالاسرار في الطبيعة البشرية انك لو تعمدت منح السعادة ، والسعادة وحدها ، لما توصلت الى ذلك . فالسعادة ورضى النفس هما من المحصلات الثانوية التي تنجم بدورها عن شيء اخر . فانت تنال السعادة اذا انصرفت الى السعي وراء مقاصد اخرى تكون هي هدفك الاصلي . وقد تلقى السعادة في الطريق ان تكن الظروف مؤاتية ، لكنك لن تلقاها اذا تعمدت لقيانها . ومن هذا الضرب من النتائج غير المنتظرة في سلوك البشر ، النتيجة التي ادت اليها التربية النازية . فان نكن قد تنبأنا بعد مراقبة الناس في تصرفاتهم

بان الرجال والنساء الذين يمرنون تمريناً منظما في دولة حديثة ، على التعصب الشديد الاعمى ، يؤول امرهم في النهاية الى الاستهتار بكل شيء واليأس من كل شيء — ان نكن قد تنبأنا عن ذلك بصورة عامة ، فالمسألة المهمة الان هي ان هذا قد اصبح امراً بديهياً في المانيا حيث تحقق الى حد بعيد . واقوى دليل عليه لهجة الدعاية الالمانية في العهد الاخير . ونحن مهما يكن رأينا في الدعاية الالمانية فلا شك في انها فعالة من الوجهة الخلقية فيما يتعلق بالنتيجة القصيرة المدى . ولو لم تكن كذلك لقذف بمديريها الى خارج اعمالهم منذ امد طويل . وما كانت وزارة الدعاية تمطر الشعب الالماني في خلال اسابيع واشهر وابلًا من الكلام المتشائم لو لم يكن في هذه الدعاية ما يستهوي الشعب الالماني .

لقد لحظت تبدلا ذا شأن في لهجة الدعاية الالمانية الاخيرة ، فاشرت اليه منذ نحو عشرة اسابيع ، اذ بدأت افطن الى ان هذا التبدل قد حدث فعلًا . لكن هذه اللهجة الجديدة صارت منذ ذلك الزمن قاعدة لا تحوير فيها ولا تعديل ، في المانيا من اقصاها الى اقصاها . ان الحكومة النازية تخاطب اليوم شعبها بالطرق المادية الصرف التي تختلف جد الاختلاف عن دعاية ١٩٤٠ المذهبية الخالصة . في الاشهر الاخيرة تحولت لهجة الدعاية الالمانية ، حتى في خطب وزيرها نفسه ، الى التصريح بان المانيا لاتحارب انتصاراً لمذهب او لمثل اعلى ، بل انما تحارب لاحراز مكاسب مادية ليس غير ، وان السبيل الوحيدة اليها هي غصبها من الشعوب الاخرى . ولقد قال غوبلز في خطبته الاخيرة بمونيخ : « نحن لانحارب من اجل مبادىء سامية ، بل من اجل اشياء اكبر خطراً هي الحديد والزيوت والحنطة . »

وان الاثر الذي يحدثه في نفسك سماع اي داعية الماني يتحدث الى بني قومه في هذه الايام — اعني اثر نبرات صوته واسلوبه واقواله على السواء — هو انه ماجن مستهتر متشائم يخاطب مجاناً مستهترين متشائمين . يقول هؤلاء الدعاة لهم ان واجبهم ان لا يكفوا عن الحرب اذا كانوا يريدون ان لا يصابوا بالبرد والجوع ، وان الدفء والشبع وخفض العيش هي كل ما ينبغي ان يهتم له الناس ، وان المثل العليا كلام فارغ لا طائل وراءه . انه لتبدل ذو شأن . واعترف اني لاول علامة من علاماته تولتني الحيرة . فقد كانت نظرية هتلر في الدعاية عكس ذلك . قال في كتابه « كفاحي » ان الطريقه الوحيدة لحمل الالمان على الاستمرار في القتال هي جعلهم يعتقدون انهم يقاتلون من اجل مثل عليا . وهاك ما قاله هتلر بنصه : « لقد صمد الالمان طالما اعتقدوا بانهم يحاربون من اجل المثل العليا، فلما دعوا الى متابعة الحرب من أجل خبزهم اليومي آثروا التسليم . » واستطرد هتلر بعد ذلك الى القول بان الساسة الالمان كانوا مخطئين سنة ١٩١٨ — ١٩١٩ في مصارحتهم الشعب الالماني بانه يحارب من اجل خبزه قال : « لم يدرك اولئك الساسة هذه الحقيقة الراهنة وهي ان المرء اذا دخل في الحرب لاسباب اقتصادية فقط فسيبذل جهده لاجتناب الموت ، لان الموت يسلبه الى الابد المكافأة التي يرجوها من وراء كفاحه . » هذا ما كتبه هتلر سنة ١٩٢٤ . ولقد كنت اعجب لاول وهلة من ان غوبلز يستمر في طرق الدعاية على خطته العملية المادية المناقضة للنظريات الهتلرية . لكنني كنت اعلم ان الدعاية في المانيا لا تستمر اشهراً عديدة على وتيرة واحدة لو كان هتلر غير راض عنها . فلم البث ان اعتقدت مع الايام بان هتلر وغوبلز على السواء قد اقتنعا الان بان الدعوة الوحيدة التي يمكن ان تؤثر في الشعب الالماني هي الدعوة الى الماديات .

ومهما يكن رأينا في كفايات هتلر للاضطلاع بسائر الشؤون ، فلا شك في ان حكمه على تأثير الدعاية المباشر القريب المدى في الشعب الالماني هو حكم ندس بصير . فهذا التبديل اذن في لهجة الدعاية الداخلية دليل ناصع على ان الشعب الالماني قد تبدل ، وانه قد تبدل على صورة لم يتوقعها هتلر . ان ما حدث في المانيا هو ان الحكومة النازية قد حورت عن عمد التعليم ، وحورت القوانين وسائر الاسباب التي يتوصل بها مجتمع الى تنظيم ذاته . وقد سخرت الحكومة كل هذه الوسائل خلال اعوام ، كي تحيل الشعب الالماني مجموعة من الافراد المتعصبين الذين لا روية عندهم . وقد وفقت الى ذلك زمناً ما . فالشبان النازيون الذين عرفناهم قبل الحرب ، والجنود الذين اسرناهم عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ كانوا متحمسين متعصبين . لقد افلح هتلر في انتاج ما شاء انتاجه . لكن عمل هتلر لسوء حظه وقف عند هذا الحد . فالطبيعة البشرية ليست كالطين ، وليست تبقى على الشكل الذي تجعلها فيه ، بل تستمر متطورة وفق نواميسها . في وسعك ان توجد رجالا ونساء على الشكل الذي انشأه النازي في السنوات العشر الاخيرة بين الالمان ، فيجيئوا متعصبين متحمسين في الغاية ، لكن هؤلاء ان يظلوا كذلك بل ان هذا يضي ويحل محله شعور ببطلان كل شيء ، وبالخيبة من كل شيء ، ثم يؤول امرهم الى الاستهتار بكل شيء ، ما عدا المطالب المادية الصرف . ولماذا يحدث هذا التطور ؟ تلك مسألة اخرى . المهم ان هذا التطور حادث لا محيد عنه ، وهو ما نشهده في المانيا النازية . كل ما سمعته من محطات الاذاعة وقرأته في منشورات الصحف ، وعرفته من احاديث المسافرين المحايدين الذين زاروا المانيا ، يؤيد هذه الحقيقة ، وهي ان احكام هتلر على النتائج المباشرة القريبة المدى كانت مصيبة ، لكنه في الشؤون البعيدة المدى اخفق وجاءت النتيجة على عكس ما اراد .

حسد المرأة

بقلم السيدة وداد سكاكيني

●

ترى لو أدركت ابا عثمان او رُدهو هذا الزمان ، ذلك الشيخ الممراح بادبه ، النقار بحصافته وثقافته ، ذو العينين الجاحظتين والوجه الكالح وقد سلك في نعليه بابوجا ، وارتدى بردين سابغين ولاث عمامة مكورة ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، لو رُدّ الي هذا الاديب العالم او لو اتيت زمانه أكان يسلم من لومي ويخلص من عتابي ؟ فلقد كتب سامحه الله رسالة في الحاسد والمحسود وهو الذي عاشر الناس وتغلغل في اعماقهم وتسلل الى دخائلهم فبسط لنا في تصانيفه خصائصهم وطبائعهم وكشف عن كل فريق منهم فذكر بعض الرجال وما تكن صدورهم من المواجد بالمحاسد وما يشتجر بينهم من الوقيعة وضروب الشر والضغينة ، ولم يذكر المرأة الحسود ولا المحسودة ، ولعل له عذراً خفياً في هذا الاهمال تجلو بعضه تلك النوادر المضحكة التي رواها عن النساء اللاتي كن يسخرن من قبحه ويفحمنه بالنكتة المرة والجواب المسكت ، من تلك النوادر خبر الماجنة الشيطانة التي ألحت على النجار ان يصنع لها عفريتاً تخيف به صغيرها اذا بكى او اشتكى فقال لها النجار :

— يا ستي ، ما رأيت عفريتاً حتى اصنع لك مثله ! فقالت المرأة :

— اصنعه مثل هذا وأشارت الى الجاحظ ..

وبحسب الجاحظ ان يقصد في مدح النساء فلا ينوه بمحامدهن الا لماماً ، ولا يختصهن بادبه الا بمواضع النقد والتهكم حتى اذا كتب رسالة الحسد صور المحسودين وترك المحسودات .

الحسد ... هذا التنور الفوار ذو سعير ولهب يشتعل بين حنايا غضة وجوانح لدنة فيكويها كياً حتى تهمد فيها عواطف الخير والرحمة ، انه طبيعة من طبائع البشر وجدت فيهم منذ كانوا ولكنها في المرأة سريعة النمو والظهور ، فما تخطر الاناث في ادوار الحداثة والفتوة حتى تنبثق فيهن نقائص الحسد على صور شتى وأطوار متفاوتة الا من عصمتهن التربية والثقافة . ولقد يكمن في بعضهن هذا الداء الاصيل فلا يثيره الا الطمع او الطموح ولا تظهره الا العداوة والبغضاء .

ان علماء النفس والتربية والمراقبين للاطفال يلحظون ان طبائع الحسد تبدو احياناً في البنات اكثر مما تلوح في البنين وانهن في المدرسة على مقاعد الدرس يجهدن في التعلم ويتنافسن بالحفظ بوازع الغيرة من بعضهن اكثر مما يتنافسن بدافع الرغبة والموهبة وانه حين تعلن نتائج الامتحان على الطالبات ترى ثم عيوناً تدمع وافواهاً تشهق ونفوساً يغمى عليها ولا يقع مثل هذا بين الطلاب ، فاذا يفعت الفتاة وشبت ولم يكن لها من نفسها زاجر عن تلك النزعة الخبيثة لازمتها الهموم وعذبتها الهواجس فلا تعرف الراحة والسكينة في حياتها ، على ان اسباب الحسد في النساء كثير والحاسدات ضروب فمنهن من ابتليت بالشناعة والبشاعة فهي اذا وقفت تلقاء المرآة خادعت نفسها فيما ترى فان تكن لها سحنة دميمة توهمتها صبيحة وسيمة ، وان كانت قصيرة ممسوخة خيل اليها انها ممشوقة القد ، ولكم تتميز من الغيظ وتنهشها عضاته الحداد حين تخشى ان تجابهها المرآة بالحقيقة الصراح فتتمنى لو كسرت المرآة بمطرقة ثم ترد عنها الطرف خاسئاً وهو حسير وتصبه شزراً على الغيد الملاح والغرائر الحسان ، فان تكن لهن تربا عزت نفسها وقالت لمن تشايعها من الحاسدات :

— ليست فلانة احلى مني ولا ابهى ، لكن الحظ هو الذي مشى بين يديها كالخادم بين يدي سيده ! وان كانت على شيء هزيل من معرفة متخطفة ، حافظة ابياتاً منظومة في المواعظ رددت بعضها واستشهدت بهذا البيت وهي في عرس واحدة من المحسودات :

وكم في العرس ابهى من عروس ولكن للعروس الدهر ساعة !

ثم تلف على قعدتها حلقة صغيرة من لداتها الشائنات واترابها الحاقدات اللواتي جثمت عليهن متالف الدمامة والسماجة وقعدت بهن عن الزواج فيتناولن العروس باللمز واللمز ، وبهمس اشتات الهمسات عن ماضي « العريس » وماله ووضاعة اسرته وتزوير حالته ، ومن يدري فقد يقع بعد ذلك الكلام خصام وملام يعلنان ما ظهر وما بطن من ذلك الحسد الوبيل ، وكما يكون هذا الداء في الصبايا العزبات والعوانس الحاقدات والضرائر الكائدات ، والسلفات الناقمات ، كذلك يكون في بعض المتزوجات الطامعات النزعات لكل ما فضل الله به بعض النساء على بعض فترى احداهن

زوجاً لقريبتها او جارتها او صديقتها يسبغ النعم ويجود بالمحبة والدلال على امرأته واولاده، فيقارن حسدها بين هذا الزوج الطيب الكريم وبين زوجها الفقير الخبيث او السكير المقامر وقد ترى اولادها في حال مقيمة من عاهات ومرض وجاراتها وصويحباتها لديهن الازواج الاخيار والابناء الصحاح والخدم والحشم اوتكون عاقراً فتحسد كل ولود او مئناثاً فتحقد على كل مذكار، فان استطاعت لغيرها اذى واتلافاً فعلت، وان لم تستطع اتلفت نفسها:

كالنار تأكل بعضها ... ان لم تجد ما تأكله

وثمة صنف آخر من اصناف الحسد عند المرأة لا بد ان يشيع ويستفحل حينما يستفيض ادب النساء، وتنبسط لهن آفاق الثقافة والمعرفة، ذلك هو الحسد الادبي، وبلاد العرب اليوم لا تكاد تخلو من حواسد شائنات للكاتبات الاديبات كحساد الادباء، على ان المواهب الفطرية والعقلية وان كانت على بعض اصحابها نقمة وشؤماً، فانها نعمة من نعم الله المحسودة. والحاسدات يتربصن الشر بالموهوبات ويتتبعن آثارهن واخبارهن لا للفائدة والاطلاع، بل لتعقب الهنات والهفوات. ومن دأب الحسود ان ينكر الحسنات فهن يشقين ويبتئسن وتسود الحياة في وجوههن اذا ظهرت بينهن نابغة تكدر صفو عيشهن بنبوغها فيبخسنها اشياءها ويثلمن فضلها، ولقد يحسب اكثر الحواسد ان الادب انما يتناوله المرء من كم متى شاء، فلا تؤرق له الجفون ولا يسلخ من اجله انضر الشباب حتى يمسك بالقلم ويخط بالفن.

ولعله عند من استوفين حظوظهن من مباهج الحياة ومناعمها زياً طريفاً يقبلن عليه كلما لسعتهن ملاسع الشهرة والظهور، ولكن الطبيعة عادلة كما قال الجاحظ فقد جعلت في قلب الحاسد عقابه وما هذا العقاب الا النار التي تأكله، ومتى عم العلم بين النساء وانفكت القيود وتوافرت المطامح فسوف يكون منهن من يتطاحن على الزعامة ويتنافسن في الرئاسة للجمعيات والحفلات، فيلون الصحف العربية بما يشأن من التلاوين التي تعرب عن مختلف اهدافهن.

وبعد فلئن كانت اولى خطايا الحسد وضحاياه من الرجل، فان حسد المرأة قد يكون اقوى من حسد الرجل: انه في بعض فطر النساء واطوارهن كصاعقة ساحقة او كسل جارف، ان فيه لافحاً من لهيب الجحيم ووقد السعير ... حين تحسد المرأة تعمى عن الحق والخير او تتعامى، فان اكرمتها المحسودة تمردت وحاولت ان تطفئ كل نور تراه فيها وكأي من امرأة كانت تحسد امرأة فتغير بدسها وخبثها وجه الدنيا. وانقلبت معالم الشعوب واوضاعها لو دخل نابوليون قلب جوزفين قبل زواجه بالامبراطورة لاحترق في ناره واصار رماداً!

هذه طائفة من صور الحاسدات ومثالبهن ما فاتت شاعراً خالط النساء، وعرف ميولهن، ذلك هو عمر بن ابي ربيعة الموكل بالجمال والحامل عبء اللوم والعتاب من اجل الحسان فما قال في صدد الحاسدات:

ولقد قالت لاتراب لها ... ذات يوم وتعرت تبترد
وكماينصرني تبصرنني ... عمر كن الله ام لا يقتصد
فتضاحكن وقدقلن لها ... حسن في عين كل من تود

حتى اذا انشد هذا عمر بن ابي ربيعة عن الحسانة المحسودة:

حسد حملنه من اجلها ... وقديماً كان في الناس الحسد

وهأنذي اعود عاجلة الى الجاحظ فقد اخذني علمه بنفوس الحساد وشقائهم الظاهر والباطن، ولا بدع فقد ابتليت عبقريته بشرهم وقاسى من كيد حاسديه ما قاسى، فصور لؤمهم ادق تصوير ووصف طبائعهم المراض وصف غيان وتجريب، فكأنه عالم من علماء النفس في عصرنا جمع فأوعى بما قال عن الحاسد: «ما لقيت حاسداً الا تبين لك مكتومه بتغير لونه وتخويص عينه واخفاء سلامه والاعراض عنك والاقبال على غيرك والاستثقال لحديثك والخلاف لرأيك».

ولم يكن ابو عثمان مصاباً وحده بشر الحساد فان ابا الطيب لم ينج من مغامزهم ومطاعنهم في اشعاره مباك على نفسه من كيد حاسديه وقد كان ينشد من قلب مهموم:

ولو اني حسدت على نفيس ... لجدت به لذي الجد العثور
ولكني حسدت على حياتي ... وما خير الحياة بلا سرور

وقال:

ماذا لقيت من الدنيا واعجبه ... اني بما انا شاك منه محسود

واهل الحسد هم هم في كل زمان ومكان ولن تفيض محاسدهم حتى يغيب الدهر الفضائل والمحامد ويمحو الحق والجمال، وحينئذ يخلو لهم وجه الدنيا فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتحاسدون! فهل يستطيع علماء النفس والتربية الذين وضعوا اساليب الثقافة والتهذيب ان يبدعوا الطرائق المجدية في نزع هذه النزعة الخبيثة من روح الانسان، فلقد تقدم العلم بمداواة الاجسام فمتى يتقدم في معالجة الارواح؟

وداد سكاكيني — دمشق

الادب في الزجل

بقلم وليم صعب



وحي الزجل

ترقية الادب الشعبي وتهذيب مادته التي ابرز صورها الزجل عمل مرتبط كل الارتباط بالنهضة الادبية العامة في البلاد العربية ، لان هذه الترقية لمادة هذا الادب تفضي شيئاً فشيئاً ، وفي النهاية ، الى السبيل الموصلة الى اللغة الصحيحة ، ما امكن ، في البلاد العربية .

ويخطيء من يظن ان الادب الشعبي المهذب هو ابقاء على اللغة العامية التي يجب ان تكافح وتحصر في اضيق الحدود . اقول : اضيق الحدود ، لان ملاشاة العامية العربية ، او اية لغة اخرى من اللغات الحية في الدنيا ، امر لا يمكن تحقيقه لاسباب لا تخفى على رجال العلم والتربية . فالادب الشعبي المهذب هو درجة من درجات التقرب من اللغة الصحيحة ، بل غايته الوصول الى اللغة الصحيحة ، وذلك باختيار الصالح الفاضل من اساليب العامية ، وتغليب هذه الاساليب على ما هو دونها في المرتبة والمستوى ، لان للعامية ، كما لا يخفى ، افقاً يعلو فيه مستوى القول ويهبط كما هو الامر في اللغة الصحيحة .

والادب روح مادته الكلام ، والادب معنى وفن ، صورته هذا التعبير الذي تمدنا به اللغة . ولما كان قد مضى على العربية ادوار مختلفة من رقي تارة وانحطاط طوراً ، تبعاً لادوار الدول التي قامت في الشرق العربي ، فقد كان من آثار بعض الادوار التي تقلص فيها ظل الحكم العربي المحض في البلاد العربية ، ان جعل الادب الموضعي هنا وهناك يتخذ صورة قريبة التناول لظهوره ، وكانت هذه الصورة القريبة التناول هي اللغة العامية التي لم تنقطع عن السير في قافلة اللغة الصحيحة والفصحى حتى الان . لقد كانت الصور مختلفة اللون ، ولكن اهمها هو الادب العامي المعروف بالزجل .

لا يهمنا ان نعلم ، على وجه التفصيل ، متى وكيف اتخذ الادب الشعبي في البلاد العربية مكانته هذه ، ولكن يكفي ان يقال كما اشرنا الى هذا ، ان امر هذا الادب يدور على حقيقتين : الاولى انه نشأ في ظل تفكك الدولة العربية الكبرى ، والاخرى انه اتخذ من العامية صورة لمظهره . والعامية تسير ابداً في ركب الفصيحة ، اذ لم يقع في تاريخ العربية بعد ، منذ صدر الاسلام حتى اليوم ، ان كان هناك دور او عصر كانت فيه الصحيحة الفصحى سيدة البلاد كلها ، دون ان تكون قد خدمتها وصيفتها العامية : هذه للادب الشعبي ، وتلك للادب العالي الصحيح ، وروح الادب واحدة !

ويروى النظم الزجلي الاول لولد في بغداد ، قتل ابوه ، فهرع الى قصر الخليفة منشداً :

« يا صاحب الهمات ، الك بالكرم عادات ... »
« انا ابن جمعه ، تسلم : ابويا مات ! »

ثم انتشر الزجل في كل الاقطار التي تتكلم شعوبها العربية ، بارزاً من اللغة العامية المستعملة ، على السنة شعراء الفطرة ، وكانت الموشحات الاندلسية اشهر وارقى الشعر الزجلي في ذلك العهد . وظهر نوع من الزجل في بغداد باسم « المواليا » والكلمة آتية من « الموالي » وقد نظمه شعراء ذلك العصر للبكاء على قبور البرامكة ، ورثائهم ، وتعداد مناقبهم .

نسمع العرب ، من اعلم العلماء الى الاميين فيهم ، يتحادثون باللغات العامية ، في مجتمعاتهم وبيوتهم واعمالهم ، ولا يلجأون الى الفصحى الا في ما يكتبون ، ولكن لغة المتعلمين العامية ارقى من عامية الاميين ، مع انها غير مقيدة بقواعد النحو والاعراب ، وهذه اللغة العامية التي يستعملها المتعلمون هي التي يجب ان تعم وينظم الشعر الشعبي من مفرداتها ، حينئذ لا يبقى بين العامية والفصحى الا درجة واحدة : الحركات !

ان رسالتنا الادبية الشعبية اليوم تنحصر في توحيد المفردات بين مختلف اللغات العامية في الاقطار العربية جمعاء : فالالفاظ الاقليمية المستعملة في قطر دون الاخر هي وحدها الجاني الكبير على اللغة الام ، وهي التي تجعل ابناء اللسان الواحد لا يفهم بعضهم بعضاً في كثير من الالفاظ والتعابير الاقليمية المحصورة : ففي لبنان وحده اكثر من ثلاثين لهجة منتشرة بين ساحله وشوفه وبقاعه ومتنه وكسروانه وجرده وشماله وجنوبه ، مما يجعل بعض المفردات غريباً على افهام ابناء البلد الواحد ، بين المنطقة والاخرى . واذا كانت الحالة على ما هي عليه بين ابناء قطر واحد لا يعدون اكثر من مليون نسمة ، فكيف تكون بين اقطار متعددة يبلغ سكانها الخمسة والسبعين مليوناً ؟؟!...

تعرض الروايات المصرية في بيروت على الشاشة البيضاء ، وهي موضوعة باللغة العامية المصرية العربية ، وتسمع الآذان عشرات الالفاظ الغريبة عنها ، فلا تفقه لها معنى . كذلك المصريون : فانهم يستغربون من اللبنانيين كثيراً من الالفاظ الاقليمية . وهذه « المشكلة العامية » واقعة بين كل الاقطار العربية ، مما جعل الناطقين باللغة الواحدة غرباء بعضهم عن بعض !

وهذه القطع الغنائية الشعبية تغص بها محطات الاذاعة التي تعطي باللغة العربية ، واكثرها مشحون بالالفاظ الشاذة والاقليمية والدخيلة ، وهي ضعيفة المبنى ، هزيلة المعنى ، يسترها اسفافها اللحن الجميل والوتر الحنون . وحبذا لو يتساوى فيها النظم واللحن والوتر ، وتسمع لغة شعبية واحدة من كل مذياع عربي ، يفهمها ويستسيغها ملايين العرب في مختلف الاقطار !.

ان على الاديب ان يوجه الامة الى الهدف الاسمى ، في السبيل الذي يتطلبه الصالح العام ، والصالح يقضي بجذب العامية نحو العربية الفصحى الام ، حتى لا تبقى هنالك فوارق تؤثر على الجوهر . ولاجل بلوغ هذا الهدف يجب على من يكتبون بلغة الشعب ان يُنقّوا كتاباتهم من الالفاظ الاقليمية ، ويستعملوا الالفاظ العربية الفصحى ، المأنوسة منها ، التي تثبتها معاجم اللغة ، فيفهمهم كل ناطق بلغة العرب ، اما الاميون والمتعلمون قليلاً فيحفظون ما يسمعون بالتكرار ويستعملونه ، كما حفظوا الالفاظ الاقليمية والدخيلة واستعملوها . و « ابن العرب » سريع الحفظ ، ويشهد على ذلك المهاجرون العرب ، وتعلمهم السريع لغات البلاد التي يدخلونها . بهذه الوسيلة يوجه الاديب الامة عن طريق الادب الشعبي الراقي ، فتتوحد اللهجات ، وتصبح العامية على بعد مئة متر من الفصحى ، فتتجاذبان وتلتقيان !

هذا من ناحية اللفظ والمبنى . اما من الناحية المعنوية ، فقد كان الشعر الشعبي مقتصراً على الموضوعات المبتذلة من غزل ورثاء وهجاء ومديح . ولكن النهضة الحديثة الزجل في لبنان نفضت كل قديم بال ، وادخلت على الشعر الشعبي ابواباً جديدة وموضوعات مبتكرة ، نسج على منوالها شعراء الزجل وكانوا جد موفّقين . فالفلسفة والاجتماع والسياسة والقصة والفكاهة والمسرحية والملحمة ، مع الخيال المرهف العالي والتفكير الناضج والمعنى الرائع والتركيب المتين واللفظ الفصيح والقافية الراسخة وانتخاب الكلمات الشعرية المناسبة ، كل هذه العوامل والعناصر الجبارة ادخلناها على الشعر العربي الحديث . وهذا الشعر الشعبي الحديث ادخلناه بحفلاته العكاظية ورواياته التمثيليه الى اكبر معاهد بيروت وجبل لبنان ، فنال استحساناً عظيماً لدى المستمعين من كل الطبقات لانهم رأوا فيه ظلاً انيساً للعربية الصحيحة ، ومعواناً لها في مكافحة العامية المبتذلة ، وموحداً للغات واللهجات الشعبية المتباينة في بلاد العرب .

رشيد نخله في الزجل

★

يمثل المرحوم رشيد بك نخله امير الزجل اللبناني ، الثورة الفكرية في الادب الشعبي ، تلك الثورة التي جعلت هذا الشعر في دوره الثالث ، بنسبة قسمته الى اربعة ادوار : اولها عصر نشأته ، وثانيها القرن التاسع عشر الى الربع الاول من القرن العشرين ، وثالثها عصر رشيد نخله الخاص الذي ، هذب فيه القديم وآلف بين سلاسة تعابيره وافكاره السامية الخاصة وخياله المرهف العالي وألفاظه الشعرية الموسيقية الفتانة ووصفه الرائع . هذه الصفات الجديدة التي ألصقها رشيد نخله بالزجل وحمل مشعالها وعلمها الخفاق الى يوم وفاته في ١٠ تشرين الثاني من سنة ١٩٣٩ . اما الدور الرابع فهو الزمان الذي نعيش فيه اليوم ، وهو وليد النهضة الزجلية الحديثة التي بلغ فيها الادب الشعبي مستواه الرفيع .

خدم رشيد نخله الزجل خدمة واسعة ، فهو في اللغة الصحيحة شاعر موهوب وهو صاحب النشيد الوطني اللبناني المشهور « كلنا للوطن ،

للعلي للعلم » وهو اول من بويـع له بامارة الزجل اللبنـاني في مهرجان رائع وكانت داره في بيروت والباروك محجة رجال العلم والادب في مختلف الاقطار التي تتكلم العربية . واليه يعودالفضل الاول في جعله الزجل اللبناني محبوباً ومحترماً من الطبقات العالية في كل بلد ، ومن نخبة الادباء والشعراء ، وقد كتب المستشرقون الروس والفرنسيون الفصول الطوال عن هذا الشاعر الشعبي وعن الزجل اللبناني . ومما كتبه عنه « موريس بارس » في جريـدة « له نوفيل ليترار » قال :

« انتم جماعة الشعراء الشعبيين تعيشون في بيوت الناس ونحن نعيش في كتبهم ، فلا بدع ان نراكم اشد حرارة منا »

اما رأي رشيد نخله في الزجل فهو هذا :

« ان الشاعر العربي يتخيل فكرته بلغته الاقليمية ، ثم يترجم تلك الفكرة الى الفصحى ، في حـين ان الشاعر الشعبي يخرج فكرته وهي بعد حامية طلقة كما تمخضت بها قريحته » .

بقي شيء آخر ارى التبسط فيه اليوم لزاماً علي وهو ما يقوم في الاذهان من ان الزجل بمثابة حرب على الفصحى ، فاستغفر الله الف مرة : مـا كان الزجل في الاندلس بالامس ، ولا في مصر ولبنان ليزج بنفسه هذه الزجة ، فانما الزجل فخره كله في ان يرى وجهه في زاوية من مرآة الفصحى ، ويكون عليه شيء من روعتهـا ، وشيء من طلاوة ألفاظها وحلاوة حواشيها ولباقة الاخذ بـين خافيها وباديها والعربية ، حين يقال ان الشاعر الزجلي يخـرج فكرته وهي بعد حامية طلقة ، كما تمخضت بها قريحته ، فمحاسنهـا لا تعد وحسناتها الى صاحبها لا تحصى ، واذا كانت هـذه حسنة الزجل الى الزجّال فما ترى يقال في حسنات الفصحى الى الشاعر وعنده منها كفتا ميزان العرب : البلاغة والفصاحة .

فالزجـل اذاً عيال على العربية من قديم الزمن الى اليوم فضلاً عن كونها لسان الامة . والزجل لسان طوائف منها ، يوم تـترك فصاحتها بعض الحين وتقبل على عاميتها .

اما شعر رشيد نخله الشعبي فان اغلبه يدور على الموضوعات الغزلية الرائعة ، وقد ضرب الرقم القياسي بهذا النوع وهو فيه فـارس المضمار الذي لا يجارى ، ملأت قصائده الصحف في الوطن والمهجر وتغنى بها العشاق والمنشدون في المجالس والاندية .

وله في الشعر القصصي رواية « محسن الهزان » الشهيرة ، وهي مطبوعة . ورواية عنترة وهي مخطوطة . وصادف ان زار امير الشعراء شوقي ، زميله امير الزجل ، رشيد نخله ، فأخذ امير الزجل يتلو مقاطع من « محسن الهزان » على امير الشعراء وهو مأخوذ بها حتى وصل الى هذه المقطوعة :

والمرج عشبو كان يموع موع الحرير
والليـل من ضو القمر قطعة رخام
والليـل من ضو القمر لونو انمحى
حتى الذهب خالط الفضه من الضحى
وراح النسيم عالسهل يمشي سوسحه
والاولحه لسردان محسن والكرام !

فترنح شوقي طرباً وابدى اعجابه بها .

رشيد نخله

هذه هي المكانة الرفيعة التي اوصل رشيد نخله الزجل اليها ، وهذه مقاطع من شعر رشيد نخله انتخبها من منظوماته الكثيرة وكتبها بخط يده قبل موته بايام ، وهو يعتبرها اروع شعره :

منين بجيبو النوم ، قوليلي تاجيب ما فهش حيله عملتهـا الاّ تخيب
يا طيف خلي الليل يطبق وانخطف وغمضتين سروق من عين الحبيب

◊◊◊

يا نوم قللي شو عيوني ذنوبهـا تطلب لقـاك وما تنال مطلوبهـا
قللي عيون النـافرتني من سنه مش وقت ما بتريد برجع صوبهـا

◊◊◊

ياطيف ، روحي بتبعتك بشؤونها نحو الحبيب بترد راجـع دونهـا
قللي بروح وبشوف عيون مذبله ما يعدش عندي قلب خش جفونها

◊◊◊

لمـا الهي راد تعجيز البشر كونك بدعـه وفجعه للنظر
الشمس من اجالك تركها بحالها وكرمال عينك بالسما زتّ القمر

قالت : حرام تشيب أنت وشيب انا
ولا من الهوى شبعنا ولا من بعضنا
قلت : يافجعة حياتي ! وشو جرى
مثلما كنا واحسن بعدنا !

◇◇◇

من بعد ما ظن العزول مضناك مات
والهجر خلّى جروح قلبي داميات
مر النسيم عابسمك جبلي معو
ريحة زباد ونـد ردتلي الحياة

◇◇◇

لولا بريق عينيك من خلف الخبا   وجذب قلبي ليك رضي يا أبى
ما بان سر الجاذبيه ولا انكشف،   ولا انعرف بالناس فعل الكهربا !

◇◇◇

كل الاسامي في زينتي اسمها ،   وكل شي مهفهف في عيوني كسمها
بالسما ، بالارض ، بنجوم الفلك ،   كيفما التفت وملت بقشع رسمها

◇◇◇

قالت : تعوا شوفوا حبيبي واقشعوا   يا غبن عقلو ، الوهم صار مضعضعو!
قلبو معي ، وبيظل يتجسس عليه   ومن كتر وهمو ، بيفتكر قلبو معو

◇◇◇

سمّيتها فراق وغزل اربع بيوت   والبدر ماشي ونحن عسطوح البيوت
ترغرغت بالدمع هاك العينتين   وقالت ان كان بتحبني دخلك سكوت

◇◇◇

قم يا مليكي الشمس في قرص الفلك   شاخصه لحالها تنظر الك
من كحل ربك نعست جفونك عليك   يا بها اعتز الرقاد لما امتلك

◇◇◇

ان بكيتِ الكون من اجلك بكي   وان ضحكتِ اهتز عرش المملكه
وكل شي ربي خاق لطف وجمال   اعطى البشر قيراط والبقوه لك

◇◇◇

كل العيون بحبها بالمختصر :   زرق سود لا فرق عندي ولا نظر
لا تزعلي ان قبلت غير عينك عيون   كرمال عينك تكرم عيون البشر

◇◇◇

يا امي ما بعرف كيف حبيتو   ولا عرفني ولا استسميتو
أوما وومبت ولا حكي ولا حكيت   وما شفت حالي غير لاقيتو

◇◇◇

وقفت بدربها وقلت العوافي   احكي لي وين كنتِ ولا تخافي
غضت عينها وضحكت وقالت :   مش قاشع الجرّه عاكتافي

◇◇◇

كل الملاح يا « ليل » من دونك   الله يكون بعون « مجنونك »
كل شي في الكون عشق وسحر   تجمّعوا بقلبي وبعيونك

◇◇◇

لا انا ولا انت كوّنا الهوى   ولا ابتدعنا حسن وشعور وغوى
الله خلق عينك تعد شراكها   وعصفور قلبي يرّف ماهبوب الهوا

حيرتني بين عين وأختها   تا تشوف أيا عين احسن بختها
عين اليمين بتهف روحي فوقها   وعين الشمال بيرف قلبي تحتها

◇◇◇

طيفك منعتو ، ليش ، في الكرى   تاصرت عبره ومشمته بين الورى
حلمت فيك،وبعد ، كيدك مطرحو   قانع ، وجر الطيف منك جرجره

◇◇◇

يا حمام بجياة من سماك حمام   وطوقك تاتكون رسول حب وسلام
رفرف على سطوح الحبيب جوانحك   وجبلي من نفاسو معك شمة خزام

◇◇◇

ودع وأرمى القلب بعد ان ودعو   وقلي اصطفل قلبك رجع لموضعو
قربت من قلبي جفل مني ونفر .   وقلي معك ما بروح رجّعني معو

◇◇◇

وعي عيونك حاج ترشقني سهام   من غير شي ولو ماحكيت ذايب هيام
ما بين هزل وجد رح بوقع قتيل   ومين يدري ان مت بتقول يا حرام

◇◇◇

ياسائق الاظعان بدي ديار مي   ولافرق عندي ان مت يا وصلت حي
ان كنت حي يمكن تمر وشوفها   وان مت بلكي قلبها بيلوي عليّ

◇◇◇

زارت على غير وعد ناعسة الجفون   والفجر يتماحل معي برقه وسكون
والشفاف يتاجلجوا باسما الحلو   وطيفها معلق على هداب الجفون

◇◇◇

سبحان الذي ورد خدودك   وبسيوف اللحاظ صون ورودك
قلبي تاه في بستان جمالك   وطار وحط بين رمان نهودك

◇◇◇

يللي بغواك تغنت الافلاك   وتراقصتلو ملاك خلف ملاك
جايي الربيع يخضر عابابك   والبحر يضحكلك من الشباك

◇◇◇

طيفي رثيلي وهم صوب ولفي يغيب   وعني يزورو ، قاتلو امري عجيب
ولو كنت طيفي بغار منك ياخيال   وبغار حتى ان زارني طيف الحبيب

◇◇◇

العشق ذاتو قال عني ياحرام   وصار الجفا مخجول مني والسقام
ومن كترما صارت جفوني مقرحه   يمكن النوم ان مر فيها ما ينام

◇◇◇

قالوا : ما خليت شي لغيرك بالهوى   قلت : وشو ياناس خلالي الهوى
آجر بقلبي مثلما آجرت فيه   وبالاخير تنيننا طلعنا سوا

◇◇◇

علمتها تقللي : « حبيبي » بلفظها   تعجبت لما ترددتْ عن حفظها
قالت : البـائين لفظة واحده   بخاف يجرح نعومة شفافي لفظها

★

وليم صعب

نوادر الطباخين

بقلم امين الغريب

تثبت الاحصاءات ان الوفيات آخذة تتناقص في كل بلاد الله. وان الذين يعيشون من مواليد هذا العصر يزيدون على امثالهم من مواليد العصور السابقة. وان الفضل في ذلك لازدياد العناية بالامور الصحية بعد انتشار العلم بين الناس. على ان في جامعة نيويورك استاذة بارعة لعلم الاقتصاد المنزلي تؤكد ان اتقان فن الطبخ يعد في مقدمة الاسباب لاطالة الاعمار. فسيدة المطبخ الحالية قد تكون في اعداد الاطعمة وتهيئتها، اقل تفنناً من امها وجدتهـا، لكنها اعرف بالقيمة الغذائية الكامنة في اطعمتها، وبالتالي اقدر على اطالة الاعمار في اسرتها.

لهذا اعتنت تلك الجامعة بتدريس فتياتها ما تحتاج اليه الجسوم البشرية من عناصر التغذية، وما في الاطعمة المتنوعة من هـذه العناصر.

كانت المرأة فيما مضى تهيىء من الطعام ما يحبه زوجها القوي. وكان على جميع الاولاد حتى الطفل الضعيف ان يشاركوه طوعاً واحتراماً، احبوا الاكل او لم يحبوه، مفيداً كان لهم او غير مفيد.

اما اليوم فالعلم افهمنا ان الجسم في كل سن يحتاج الى اطعمـة معينة، وان الاشخاص المتعددين في سن واحدة قد يحتـاجون الى اطعمة مختلفة. فكل مطبخ في هذه الايام، تعرف سيدته بعض هذه الامور، وتوليها حقها من العناية والانتباه، يعد معملاً للصحة الجيدة وطول العمر في بيتها وفي وطنها.

الذوق الفرنسي في المطابخ

ولو اردنا الثناء على امرىء بالطف ما يكون من النعوت لقلنا انه « صاحب ذوق ». فصاحب الذوق الحسن كفيل بادخال المسرة على النفوس، يشيع بفضله الانس في المجالس، وتهتز لحركاته اوتار القلوب. واذا كان للذوق عند الناس هذا المقام، فكيف نفصل بين الذوق والطعام بعد ما جمعتها الايام، في المطابخ وفي الكلام.

في الماضي كان ملوك المطابخ اي اكابر الطهاة الذين اكسبتهم ابتكاراتهم الشهية شهرة عالمية، يعتنون بطيب المذاق، لا بانواع الفيتامين وكالوريات الحرارة التي تستفيـدها الاجسام من انواع الطعام. لان هذه العناصر لم تكن معروفة قبل اعوام قلائل. ولهذا ان كان فن الطبخ في هذه الايام قد انحدر من عالي مقامه بعض الانحدار من ناحية المذاق امكننا التعزي عن ذلك النقص بما زاد فيه من المعرفة الكيماوية.

تروي الاساطير الرمزية ان ابوينا آدم وحـواء لما اخرجا من الفردوس حملا بعض ذكرياته المأثورة، واخذا يلقيان منها عـلى البلاد اثراً في كل واد. فكان حسن الذوق نصيب الفرنسيين.

ولهذا أتقن الفرنسيون حرفة الطبخ ورفعوها الى درجة الفنون الجميلة. وعينت حكومتهم الجمهورية الثالثة طاهياً رسمياً بين كبار موظفيها يشرف على تعليم هذا الفن لطلاب معهد التدبير المنزلي في غرينيون، ونصبوا تماثيل لمشاهير طهاتهم الذين حفظوا اسرار لذات الفردوس الارضي واداروا من اطايبها على الناس ما يشبه المن ويضارع الكوثر.

على ان الفرنسيين لم يكتفوا باعلاء شأن الطبـخ بل ملكوا ناصيته واستأثروا بها حتى صار فنهم الخاص لا ثقة للناس فيـه بغيرهم. ففي مطابخ الملوك والاغنياء المتأنقين والفنادق الكبرى ان لم يكن رئيس الطهاة فرنسياً فلا قيمة لذلك المطبخ. وعـلى افخم موائد العالم ان لم تكتب لائحة الاطعمة باسماء فرنسية خلت من الرونق. وقد تقاضى بعض الطهاة مرتبات ضخمة كأربعة آلاف ذهب في السنة. واقتضى اعداد لون واحد من الاطعمـة الجليلة ستة اشهر كاملة نقعاً وتجفيفاً ومزجاً وتعليلاً.

الطاهي الفرنسي كناية عن شاعر يبث في طبخه روحه واحساسه كما كان قيس العامري يوقع اشعاره على اوتار قلبه ، او مصور كرافائيل ودافنشي ، او نحات كميكال انج ، او موسيقي كموزار وروسيني وبيتهوفن . هؤلاء الائمة انما امتازوا في فنونهم الجميلة بما دقّ ورقّ من احساسهم الذين اثبتوه فيها برمته . فجاءت اعمالهم رائعة في اتقانها . وهكذا الطبخ ان لم يبث الطاهي روحه فيه ، و « الطبخ نَفَس » كما يقال في لبنان ، لم يكن له تأثير في الارواح ، بل راح ادراج الرياح . والطاهي اذا جاء الطعام على هواه طرب وهفا كميكال انج عندما بهره تمثال كان ينحته فضرب زنده بالازميل هاتفاً : « ويحك تكلم » . وبالعكس اذا اعترضته عراقيل ، فأخفق في طبخه ، اظلمت الدنيا في عينيه ، وقلّت عنده قيمة الحياة .

طاه ينتحر وآخر قاتل

وهذا عينه ما حدث لفاتيل Vatel طاهي الامير كوندي القائد الفرنسي العظيم واشهر الطهاة في عصره عام ١٦٧١ . فقد بالغ في اتقان وليمة اعدها سيده في شانتيلي للملك الكبير لويس الرابع عشر . ونظم لائحة الاطعمة بحسب ما يعلم من التأثير في الذوق لورود هذا اللون بعد الاخر ، وحفظ للسمك مكانه . لكن الصيادين لم يحضروه في وقته . فشق على فاتيل ان تخلو الوليمة من السمك فينقص قدر اللونين المحاذيين له عند الآكلين . أو تعلمون ما فعل ؟ حزن ويئس وجاء بسيفه الى المطبخ وانتحر .

ذلك الشاعر المطبوع بين الطباخين ، فشلت قصيدته البديعة في عكاظ البطون ، فاحتقر الدنيا باسرها وهرول الى الاخرة !

هذا الحادث التاريخي غريب . لكن غرائب التاريخ لا تحصى . فان امامي الان قصاصة محفوظة من جريدة نيويورك تيمس بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣١ تروي ان طاهياً غيوراً على فنه سيق الى المحاكمة متهماً بقتل سيده . وسأله القاضي لماذا قتلته فأجاب : « انا يا حضرة الرئيس طاه شديد العناية بفني ، كثير الاتقان لعملي ، استخدمني رجل حديث النعمة صار بين ليلة وضحاها من اصحاب الملايين . وأردت التدليل على مقدرتي الفنية فهيأت له حساء (شوربا) لم تذق مثلها الالسنة ، وحققت بها كل احلامي . وسكبتها في صحنه وانتظرت عند ارتشافه اول ملعقة ان يهتف طرباً وتتلألأ على وجنتيه دموع الفرح ، ويقوم اليّ متهللاً ويقبلني . أفتدري يا مولاي ما فعل ، حالما جلس ؟ — مدّ يده الشقية الى الملح وزاده على الحساء . فجننت غضباً للفن ، وحزناً على الاتقان والتعب ، واطلقت الرصاص عليه » !

فصاح القاضي : « براءة » ! وهلل الحاضرون ، للعدل الذي ينتقم للفنون !

سنة ١٩٣٥ توفي الطاهي الشهير اسكوفييه الذي نشر عبير الطبخ الفرنسي في العالم المتمدن . فأبنته جرائد الدنيا بمقالات طوال كالتي تكتب عن عظماء الرجال . ونشرت عنه لندن تيمس اميرة صحف العالم الملقبة « بالرعادة » عموداً كاملاً لمراسلها في باريس ومقالاً آخر من تحريرها . فقالت انه اطعم جميع الملوك في عصره كنبوليون الثالث وفيكتوريا وغليوم الثاني وفرنسوى جوزف وادوار السابع والقيصر نقولا الثاني وجورج الخامس . وكان مع مكماهون في قصر الاليزي . ونال وسام ضابط في جوقة الشرف قلده اياه السيد هريو الذي كان وزير الفنون الجميلة . ونصب له قومه تمثالاً في مسقط رأسه فيلنوف . وعين في الحرب العالمية الاولى « ذواقاً لحاويات الجيش البريطاني » وله كتب مطبوعة في فن الطبخ رائجة كل الرواج .

يؤثر عنه انه كان مخترعاً في فنه ، فابتكر اصنافاً عديدة اشهرها المبردات الثلاث : « قنبلة نيرون » . يظهر بها الجليد ملتهباً . و « خوخ ملبا » اكراماً لمدام ملبا المغنية الشهيرة التي ولدت في ملبورن اوستراليا وشقت اسمها منها . و « توت ساره برنار » اكراماً للمثلة الفرنسية « السماوية » . وهو الذي زين للانكليز اكل سيقان الضفادع ، مسمياً اياها « نمف ألا روز » اي حورية الماء على ورد . وقد سئل يوماً ما كنت تفعل لو وقعت في مأزق مثل فاتيل طاهي كوندي ؟ فأجاب : « لأخذت لحم فرخة ابيض وعالته بتوابل السمك المعروفة ، وقدمته على انه هو السمك ، فلا يشعر بالفرق احد » .

اجل ان تقليد الاطعمة امر مشهور . وقد كان جروستفان Grostefan الفرنسي طاهي اللورد روتشيلد في لندن يقلد جميع الاطعمة من لحمية ونباتية ما خلا اثنين فقط هما : الحليب والكمأ .

المانيا وذوقها في الطبخ

في اوائل هذا القرن زف الامبراطور الالماني غليوم الثاني ابنته الوحيدة فكتوريا لويز الى احد الامراء الالمان ، فلاحظ المدعوون ان طاهي البلاط في برلين لم يتمكن من طبخ اطعمة تضاهي بجودتها

الألوان التي ذاقوها في بلاط القيصر الروسي نقولا الثاني والملك ادوارد السابع البريطاني .

ولا عجب . فان الطاهيين، في هذين البلاطين، كانا فرنسيين . اما غليوم فمع رغبته في التنعم باطيب المآكل ، ومع يقينه ان افضل طهاة العالم فرنسيون ، حال التعصب القومي دون استخدامه في مطبخه طاهياً فرنسياً . كان القيصر الروسي يدفع لطاهيه ٨٦ الف فرنك ذهباً في السنة ، والملك البريطاني ٦٦ الف فرنك . اما طاهي غليوم فلم يستحق الا ٢٥ الفاً . ولهذا لم يجد ضيوف برلين شيئاً من لذات باريس او بطرسبرج او لندن .

والتعصب اعمى . فقد منع غليوم استعمال الاسماء الفرنسية على مائدته مع شيوعها في كل العالم متجاهلاً اهمية ذلك في الاكل وتأثيره في عقول الرجال . لكنه لم يتورع سنة ١٩٠٧ عن التغذي ٤ مرات في شهر واحد على مائدة مسيو بيهور سفير فرنسا في برلين . وقد رأت المحافل السياسية وقتئذ في ذلك التهافت دليلاً على تقرب مقبل بين الدولتين ، عملاً بالمثل العربي القائل : اطعم الفم تستحي العين .

على ان المانيا اشتهرت بالنهم ، لا بدقة الذوق في الطعام . وكانت قبل عام ١٩١٨ مؤلفة من ٢٢ دولة كبيرة وصغيرة تدعى بروسيا وبافاريا وسكسونيا وهلم جرا . فطاحت الحرب العالمية الاولى بملوكها جميعاً عن عروشهم المتقلقلة . وانقذت سياسيين كثيرين من علة خفية . فقد كانت مطابخ اولئك الملوك تتمتع بشهرة غير حميدة . ولا سيما ملك ورتمبرج قبل الاخير . فهو كان ابان حكمه الطويل يكثر الدعوات الى ولائم تجر اطعمتها من قصر الى اخر بعجلات مستحدثة على خط حديدي صغير فتصل الى الموائد باردة كالثلج ويأكلها الضيوف احتراما ويشكرون طاهيها كذباً وحراما . حتى صار من تصله دعوة الى تلك الولائم لا يتمايل افتخاراً ، بل يعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق . واخيراً صارت الامثال تجري بكثرة عدد السياسيين الممعودين بعد تمثيلهم لدولهم في ستوتجارت عاصمة ورتمبرج ..

ولا شك ان طاهي السفير الفرنسي في برلين انما استطاع ان يغري الامبراطور غليوم بتربيع زياراته لمائدة المسيو بيهور في شهر واحد بانتباهه الى عواقب الاكل كي تكون خفيفة . لان اقل ارتباك في الجهاز الهضمي الامبراطوري يحدث رد فعل فوراً في الجهاز السياسي

اهمية الاكل في السياسة

من ذلك ان تاليران سفير فرنسا العظيم في لندن لما اضطر الى الفصل في خلاف نشب بين طاهيه الشهير كاريم وبين معاون السفارة الاول انحاز الى كاريم وطرد المعاون . لان طاهياً جيداً في مطبخ السفارة افضل وانفع لسياسة الدولة من ابرع المعاونين السياسيين . ونجاح السفراء في مساعيهم يرتكز غالباً على فوزهم برضى زائريهم على المائدة البيضاء . لا الخضراء ولا السمراء .

وقد اعلن اللورد كرومر اول عميد بريطاني في مصر مرة في احدى ولائم لندن ان كثيراً من نجاحه في القاهرة يعود الى طاهيه الفرنسي الفونس الذي كان يتناول منه مرتباً لادارة شؤون المطبخ يعادل ثلث مرتب كرومر . وقال ان مشكلات كثيرة استعصت على حججه المنطقية فحللها الطاهي وذللها بعبق الاطعمة اللذيذة على المائدة . ونسب فضلاً آخر بنجاحه الى الكراسي الممتازة التي كان زائروه يستريحون بالاستلقاء عليها في مقعده الوثير . اجل ان لصنع الكراسي كما لصنع الاطعمة ، فلسفة واصولا وقواعد خاصة بها ، فالجالس على كرسي مريح لا يسرع الى الحنق وهياج الاعصاب كالمترجح في جلوسه .

لما وفد كتشنر على القاهرة قائداً للحملة العسكرية على السودان احيا له كرومر عدة ولائم فخمة حار كتشنر في كيفية مقابلة مثلها . وحدث ان الفونس حنق يوماً لكلمة بدرت من الليدي كرومر فغادر قصر الدوبارة غاضباً واختفى عن الانظار .

ودرى كتشنر بالامر . ومن مزايا القائد الماهر انتهاز الفرص السوانح . فبث الارصاد على الفونس حتى اكتشفه واقنعه بالاستتار عنده يومين لكي يبادل كرومر وزوجته لطفهما بوليمة فاخرة يهيئها الفونس من الوان لم يسبق له طبخها عندهما . لكن كتشنر الذي قضى عمره عزباً لم يحسب حساباً لمبلغ ارتقاء الذوق عند السيدات ومقدرتهن الهائلة على (الاستطعام) فلم تكد الليدي كرومر تذوق المرق حتى هتفت بدون انتباه : « الفونس » !

ذلك ان الطاهي احتاط في كل الالوان ونسي المرق . ولم يسع كتشنر ، وهو عسكري نبيل ، الا ان يصدقها الخبر . وكل سيدة في الدنيا عثرت على طاهيها البارع بعد اختفائه متقمقماً ، تدرك اي حمل تدحرج حينئذٍ عن عاتق الليدي كرومر ، واللذة التي اكلت بها في تلك الوليمة .

ومن ساسة الانكليز الذين اشتهروا بجودة المطبخ اللورد ليونس الذي مثل دولته في واشنطون خلال الحرب الاهلية الاميركية ومات سفيراً في باريس . يؤثر عنه امران : الاول ان همه الوحيد في الحياة كان الفوز برضى اثنتين : ملكته ومعدته . (ويعني بالملكة فكتوريا) والثاني انه لم يتزوج كيلا تسيء الحياة الزوجية الى جوفه كما هي اعتادت ، على قوله سامحه الله ، ان تفعل باجواف اكثر الرجال .

قلنا ان للاكل تأثيراً كبيراً في الادمغة حتى كانت العرب تقول : « عند البطون ضاعت العقول » . ونزيد ان اعظم سبب للراحة العائلية في جميع المنازل اتقان الطعام وكل بيت متمتع بالراحة والسكينة ينم على وجود سيدة فيه بارعة في الطبخ .

ومن اصعب الامور التي يضطر الطهاة الى مجابهتها ومعالجتها ضجر الآكلين من الالوان التي يتكاثر تقديمها لهم . اذ ليس في حواس الانسان واحدة اسرع الى الملل من حاسة الذوق اللطيفة . فان لم يكن الطاهي متفنناً في التنويع فمهما يكن طبخه جيداً لم يلبث الآكلون ان يعافوه ويمقتوه .

وقد انتبه الى ذلك بعض اصحاب الفنادق الكبرى . فامر فردييه صاحب فندق « البيب المذهب » في باريس بان يطبخ طهاته امام الضيف كل طعام يطلبه ، فينشرح صدره بما يرى من النظافة والدقة والعناية وتهييج قابليته ، ويعرف قيمة الرزق !

وفي موسكو مطعم يدعى الصومعة (ارميتاج) مشهور بتهيئة السمك يقودك مديره الى حوض كبير يسحرك برونقه وجمال الاشجار المحيطة به ويعج عجيجاً باسماك بديعة متنوعة . ثم يعطيك شبكة صغيرة ذات مقبض فضي لتصيد السمكة التي تريدها بيدك . ثم تجلس الى مائدة انيقة تنظر بلذة غريبة الى عناية الطاهي باعدادها سريعاً على الشكل الذي تختاره .

سوايه ترانكيل

ومن مشاهير الطهاة الفرنسيين « سوايه » Soyer الذي كان في مطبخ وزارة الخارجية في باريس واوشك الثوار ان يقتلوه سنة ١٨٣٠ فهرب الى انكلترا وترأس اكبر المطابخ البريطانية وعاون وورنس نايتنجيل مؤسسة جمعية الصليب الاحمر في حرب القرم . فانظم الاعاشة في ارلندا وقت مجاعتها . واخترع موقداً طاف به البلاد معلنا . ولما مات نقش الانكليز على رخام ضريحه في كنسال غرين كلمتين فرنسيتين « سوايه ترانكيل » ومعناهما كن مستريحاً . على ان في كتابتهما تورية لطيفة تعني ان «سوايه مستريح» .

ثم ان المسافرين بحرا على بواخر شركة هولند اميركا سمعوا بالطاهي الفرنسي الشهير دوايه Dhoyer الذي قضى عمره متنقلاً في تلك البواخر ولا سيما « ستايندار » متمتعاً بلقب « ملك طهاة الاوقيانس الاطلنطي » . هذا الرجل رفض مبالغ طائلة من اكبر فنادق العالم مؤثراً العيش في البحر . بل وفياً للشركة التي اعتنت كل الاعتناء باسرته في روتردام اثناء غيابه عنها في الحرب العالمية الاولى . ولما تقاعد لم تكن زوجته تسمح له بدخول المطبخ كيلا يضايقها بملاحظاته .

معارك نبوليون . ضيف لوكولوس

ولا ننسى « لاجيبير » طاهي نبوليون الاول الذي طبع اربعة كتب لا تزال حججاً نهائية في فن الطبخ ومات سنة ١٨٣٣ عن ٥٢ عاما . كان نبوليون يقول له كلما اجاد في وليمة : «لاجيبير، قد كسبت المعركة» .

ومن ذا ينسى لوكولوس القائد الذي اشتهر باناقة مائدته الى درجة سارت بها الامثال ، مدى الاجيال . يؤثر عنه انه وجد مائدته ذات مساء خالية من الالوان الفخمة المعتادة . واعتذر الطاهي بانه لم يعلم بوجود ضيوف يتقن الطعام لاجلهم . فصاح به : « ويلك . الم تعلم ان لوكولوس يتعشى الليلة عند لوكولوس ؟ »

وما دمنا في حديث المطابخ فلا بأس في ان نذكر الماء الذي تغسل به القصاع في اعظم فنادق العالم . فهو يغير مرة واحدة في السنة . هذه الحقيقة قاسية على الاسماع لاول وهلة ، لكنها واقعية مبنية على قاعدة كيماوية . يؤتى بالقصاع الملوثة عن المائدة وترج في الماء حتى تزول عنها اثار المطبوخات . هذه الآثار لا تمتزج بالماء بل تولد فيه حوامض امونياكية ذات خاصة شديدة في نزع البقايا عن القصاع . ثم تطفو على سطح الماء فيرفعها الطاهي بضع مرات في النهار ، ولا يلبث الماء حتى يصير كله كمية صافية من الامونياك تغمر الآنية فتنظفها من كل رائحة وتطهرها تطهيراً يعجز عنه اقوى انواع الصابون . والذين يجربون، يتحققون .

امين الغريب

ميلاد يسوع

مسرحية بقلم محمد حاج حسين
ليسانسيه آداب من جامعة فؤاد الاول

الفصل الاول – في الناصرة –
يدخل الملاك جبريل بيت العذراء مريم

جبريل : لا تجزعي ايتها العذراء الطاهرة ..

مريم (واجفة) ان صوتك ليتيه في نبرات ساحرة ، لها حفيف شهي الوقع ، حلو الصدى . من تكون ؟

جبريل : البشرى لك يا مريم . انا الملاك ، رسول الرب .

مريم : يا فرحتي بلقاء رسول ربي .

جبريل : طوبى لك يا مريم ، فانت مباركة في النساء ، واقد اصطفاك الله ، لتكوني مسبح القداسة ، ومسرى الطهارة، وينبوع الايمان ، ستحبلين بالسيد المسيح ..

مريم : كيف هذا ؟ اني لعذراء لم يمسسني بشر .

جبريل : شاءت ارادة الله ، ان ينقذ الناس من الضلال الذي يتخبطون به ، والغواية التي يعمهون بها ، .. فسيرسل لهم آيته يسوع ، فيبدد بنوره الوضاء الظلمات التي ترين على حياتهم .

مريم : كيف احبل وانا لم اعرف اي رجل ؟

جبريل : ارادة ربك القدير ، خالق السموات والارض ، انه على كل شيء قدير . ستلدين يسوع ، نور الرحمة وأب الرفق ، تهدف اليه القلوب الجائعة ، والنفوس الشاردة فيرشدها الى المحجة العليا .

مريم : الهي ! الهي افيء على نفسي الراحة ، واسبغ عليها نعمك الرضية ..

جبريل : وسيكون ملكاً عظيماً ، عرشه القلوب ، وجنوده الارواح ، فليس لملكه نهاية ولا تخوم ، تهزج له القرون، وتشتاقه النفوس ، وتقبس من جذوته الالهية ، الهدى والمجد .

مريم : اشعر ببرد الطمأنينة في حنايا ضلوعي .

جبريل : وسيملك على عرش داود ، وسيتربع على بيت يعقوب ، الى الابد ، فطوبى لمن نهل من منهله الفياض ، قطرات الشوق وسلسبيل المحبة والوله ..

مريم : ارى شعلة مضطرمة تنير قلبي ، وتفتح مغاليقه ، على اضواء وهاجة ، فتتراقص لوميضها ، وتتهاوى ترتوي منها ..

جبريل : سيحل عليك الروح القدس ، وتظللك قوة العلى ، ايتها العذراء المختارة ، رمز الحب والنور والالق .

مريم : شكراً على آلاء الرب وعطاياه .

جبريل : ليس شيء مستحيل على الله ..

مريم : او هناك من يجرؤ على الشك بقدرته الغامرة ؟

جبريل : ها هي قريبتك اليصابات ، التي بلغت من العمر عتياً ، وخال الناس انها عاقر ، قد حبلت بغلام ، ممجد ، رائع ، سيدوي اسمه على الدهور ، روعة باقية . سيكون قرة لابيه زكريا ، ونفحة للناس المتشوقين الى التقوى والجائعين الى الله .

مريم : انا عبدة الله ، لتكن ارادته ، ولتنفذ رغبته ..

الفصل الثاني – بيت زكريا – في مدينة يهوذا

مريم : سلام عليك يا نسيبتي اليصابات ..

اليصابات : يا فرحتي برؤيتك المهللة ، وطلعتك النورانية ، وابتساماتك الطافحة بالجلال ، فقد شعرت بالجنين يتراكض في بطني ، عندما سمعت سلامك الالهي ، ورن صوتك السماوي في اذني ..

مريم : ستلدين يا اليصابات غلاماً ، يكون قرة لشيخوختك .

اليصابات : اي مجد هذا الذي يغدق علي .

مريم : ارى ان هيئتك تزداد اشراقة .

اليصابات : أحس نعمة الرب تغمرني ، وتطفح روح القدس بي ، عند زورتك السعيدة لي .

مريم : ماذا تقولين ؟

اليصابات : مباركة انت في النساء ، ومباركة ثمرة بطنك .

مريم : اعلمت بمجيء الملاك ليبشرني ؟

اليصابات : أيخفى نور الله الذي يخترق الحجب ويصدع الظلام؟

مريم : شكراً لالهي . اليصابات : ستحبلين بالمسيح ، الذي ينتظره العالم ، بصبر نافد وشوق بليغ ، ليطمس على رذائلهم ، ويحلق بأرواحهم الى اجواء الفضاء ، في عوالم ملكوت الله . كم انا مبتهجة بمرآك ، انت التي تحبلين بمنقذي ، ومخلص البشرية من آلامها ، وفاديها .

مريم : هكذا انبأني الملاك جبريل .

اليصابات : بشرى للدنيا بمجيء يسوع .

مريم : وستتم بهذا نبوءة الرسل الاقدمين .

اليصابات : طوبى لك يا مريم ، انت التي آمنت ، بما ألقي اليك من ارادة الرب .

مريم : ان نفسي لتبتهج اعظم الابتهاج بالرب مخلصي ، ومنقذ روحي ، ربي القدير على كل شيء ، الذي يصرف ملكه الوسيع بحكمة مدبرة نادرة ، وقدرته تنفذ في كل شي ، فشكراً له ..

اليصابات : من اعماقي اهتف شاكرة لربي ، انا التي يئست من البنين ، وأدركت الشيخوخة ، وتأبى رحمته الا ان تسعني ، فحبلت بولد زاكي الفرع ، عميق الروح ، هفت له نفس زوجي زكريا ، منذ امد قصي، حتى فرج الله كربته .

مريم : ان الله رؤوف رحيم بعباده المخلصين .

اليصابات : ستظلين عندي ، ردحة من الزمن، اتبارك بك .

مريم : كما ترومين يا نسيبتي .

الفصل الثالث

في بيت لحم — رعاة يتحدثون

الاول : لقد رأينا عجباً يومنا هذا .

الثاني : لا تزال ابصارنا عالقة بالنور السرمدي ، الذي اكتحلت عيوننا بمرآه .

الثالث : اهتزي يادنيا طرباً لقد ولد المخلص ، معلم المحبة .

الاول : ان قلبي لايزال ينبض بشدة منذ بصرت بالطفل الالهي .

الرابع : طوبى للمساكين ، فالمسيح ، ولد في المذود ..

الثاني : ابتسامة الحق، وخفقة السماء ، تتهاديان في المذود الذي يضجع فيه يسوع المسيح .

الاول : من هذا المذود ، سينبثق الضياء الاغر ، يدغدغ الافئدة ويضيء العالم .

الخامس : ما احلى المنظر الالهي ، في المذود : الطفل يرقد هنيئاً ووجهه يتهلل طلاقة ، وعيناه تومضان بحرارة الروح ، وجسمه الصغير يشع برؤى باهرة ، تنحسر عنها الابصار ، لفرط تأثيرها وخفقها .

الرابع : ما اروع امه العذراء المقدسة، تحنو عليه ، وقد بدت كجنة من لؤلؤ ، تنفح بالعبير ، وسترسل شذاها الروحي ، يعبق في الارجاء. وخطيبها يوسف يتأمل عميقاً الطفل السماوي : انه يطير الى السماء على اجنحة من نور .

الاول : في هذه الايام ، صدر امر من اوغسطس قيصر ان يكتتب كل المسكونة وهكذا خرج يوسف مع خطيبته مريم ، ليكتتبا ، في بيت لحم ، فيوسف من بيت داود وعشيرته : وها هي تضع طفلها في بيت لحم السيدة ، فتيهي على المعمورة ، يابيت لحم ، التي رأى فيك يسوع النور . فستظلين خالدة ، رفافة في ذاكرة الابد ، ما دامت النفوس تتطلع برغبة وحب ، الى يسوع .

الثالث : ألا تذكرون الساعة الرهيبة ، التي رأينا فيها مجد الرب يضيء حولنا ؟

الرابع : لا ازال ارعد كلما طافت هذه الخواطر في رأسي المكدود .

الاول : كنا في الليل ، عندما برق نور الله علينا .

الثاني : نحن رعاة ، نحرس حراسات الليل رعيتنا .

الاول: وفي جوف الليل ، سمعنا اصواتاً غريبة ناعمة ، كعزف موسيقى السماء ، واذا بنور وهج ، يشق الظلمة ويبددها ، فتتناثر فلولها ، لتشرق الدنيا ، باضواء ساطعة ، تأخذ بمجامع النفوس ، وتهز حبات القلوب ..

الثاني : ما اقوى بريق هذا الضوء ولمعانه ، فخلت ان شموساً قد هيمنت على هذا الليل ، وابتلعت ظلماته ..

السادس : والرعب الذي استولى علينا كان قوي الايد ، جلجل كرعدة قاصفة في ليلة عاصفة ، فسرى فينا خوف سريع ، حتى خلت ان الدنيا تطبق بخطوبها .

السابع : واصابني الهول والفزع، حتى حسبت نفسي اني اضرب في مغارة في يوم شديد وقع الشمس، محتدم الهاجرة، وقد تناوشتني السباع تقطع جسمي ارباً .

الثالث : كلنا شعرنا بالرهبة والجزع الاكبر .

الرابع : وفجأة ظهر ملاك الرب ، يبسم كالرحمة ، ويقول بلهجته العذبة : لا تخافوا فابشركم بفرح عظيم ، يغمر الدنيا . لقد ولد المسيح المخلص الذي تتطلع اليه الناس ، يحدوها الرجاء .. والعلامة ان تجدوه طفلا مقمطاً مضجعاً في المذود .

الخامس : وهكذا لم ينه الملاك كلماته الحلوى ، حتى رأينا كوكبة من ملائكة السماء ، محدقة به ويرتلون مغنين : « المجد لله في الاعالي ، وعلى الارض السلام ، وفي الناس المسرة » .

الاول : ولما ذهبت الملائكة تشاورنا فيما بيننا ، وصحت عزيمتنا على الذهاب الى بيت لحم ، لنتقرى هذا الامر العظيم ، الذي حدثنا عنه الملائكة ..

السابع : ولما رأينا الطفل مضجعاً مقمطاً في المذود اذ لم يكن له موضع في المنزل ، هللنا وسجدنا لله ، وسبحنا له ، واخبرنا بما رأينا ، فوعت امه العذراء المقدسة ، كلامنا ، مفتكرة به في قلبها .

الثامن : حدث رائع في هذه الليلة التي ولد بها السيد يسوع .

الثالث : ورجعنا فرحين نهزج ونسبح للرب القدير .

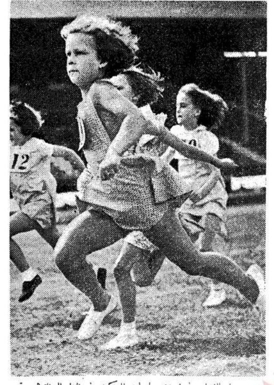
اللاذقية — محمد حاج حسين

كيف تمضى ايام العطلة في بريطانيا

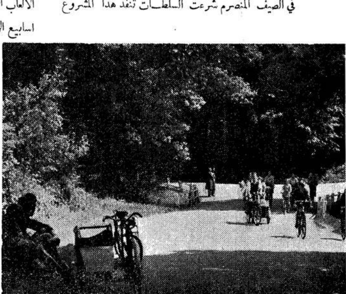
تعود البريطانيون في اوقات السلم التنقل والسفر ايام البطالة والعطلات، فكانت تنشغل السيارات وتغص القطارات يوم ذهاب المتنزهين الى ضفاف الانهر وشواطىء البحر حيث يتمتعون بمناظر الطبيعة. فهم يعتبرون امتطاء السيارة وركوب القطار عناصر اساسية للحرية ودلائل واضحة للعطلة ومدعاة للترويح عن متاعب النفس بعد الكد والعناء. فليست محلات العمل — كما تعرفها النساء — هي الدوائر الرسمية والمعامل فحسب، بل هي البيوت والمنازل والحدائق التي يقضي فيها نصف الشعب اكثر اوقاته وقت السلم. اما هذه السنة فقد قل السفر في بريطانيا كثيراً واوشك ان يكون ممنوعاً. ففي عيد الفصح مثلا لم تتجاوز مدة العطلة يومين انصرف الشعب بكليته الى الراحة عملاً بالنصيحة التي وجهت اليه، ففضلوا المكث في البيوت وحرث الحدائق على التهافت الى سواحل البحر والمتنزهات. ولكن هذه الحالة تنقلب الى عكسها في نهاية الصيف عندما يتطلب عمال المصانع فرصة وجيزة وتتأجج الشمس حرارة وتتلألأ مياه البحر زرقة فتشتد رغبة الناس في التجول والتنزه فلاجل التوفيق والتوازن بين هذا الاغراء وعوامله اتخذت السلطات المحلية حيطة تامة في جميع انحاء البلاد وجعلت القرى الريفية جذابة جداً وقدمت للمتنزهين جميع انواع الرياضة واسباب التسلية. وقد ساعد التوقيت الصيفي (اي تقديم الوقت ساعتين عوضاً عن ساعة واحدة) جماعة المتنزهين حيث يبقى نور الشمس ساطعاً الى ساعة متأخرة من النهار وتظل الجنائن والحدائق مليئة بجماهير المتنزهين على اختلاف طبقاتهم ورتبهم.

في الصيف المنصرم شرعت السلطات تنفذ هذا المشروع بصورة جزئية في بعض انحاء المملكة، وقد اتيح لها في هذا الصيف ان تعممه في طول البلاد وعرضها وتعنى به عناية خاصة لما فيه من فوائد عامة. اما الغايتان الرئيسيتان اللتان تتوخاهما الحكومة من تنفيذ هذه الفكرة فهما: اولا ان تجعل من الاراضي الفسيحة مصايف جذابة يؤمها الموظفون وعمال المصانع طلباً للتنزه وحباً لحضور الحفلات الراقصة والاصغاء الى الموسيقى الشجية التي تتهادى انغامها في الفضاء. فتخفف بعضاً من متاعبهم. ثانياً ان تنظم الالعاب الرياضية وتقيم الحفلات الهزلية بشكل واسع النطاق خلال اسابيع الراحة المخصصة لكل بلدة او قرية حيث انه سبق لبعض المدن الصناعية في بريطانيا ان تتناوب حضور الحفلات الرائعة في مثل تلك الاسابيع. وعلى هذا النمط تسير مدن لانكشير، الواحدة تلو الاخرى، الى هذه الحفلات دون ان يتخلف احد منهم عن الذهاب الى المصايف في اوقات الرخاء والطمأنينة، بل تراهم يقصدونها زرافات ووحداناً.

اما هذه السنة، فنظراً للظروف العالمية، وانهماك السيارات والقطارات بنقل الجيوش والاعتدة الحربية يتعذر على الجمهور ارتياد الشواطىء البحرية، واذا



صغار الفتيات في احدى مباريات الركض في اثناء العطلة اليومية



تركب العائلات الدراجات عند خروجها للتنزه بين قرية واخرى

توفرت لهم وسائل النقل فانهم يلاقون صعوبات جمة في ايجاد محلات تؤاويهم ، ولهذا السبب اهتمت السلطات بانشاء الحدائق في داخل البلاد كي يؤمها هواة الرياضة ويعرضوا عن ارتياد السواحل . اما اشهر انواع الرياضة المتوفرة فيهذه الاماكن فهي التنزه في القوارب والسباحة والتجذيف فضلاً عن اكوام الرمال التي ينصرف اليها الاطفال ويلعبون فيها ساعات طويلة دون ملل او ضجر، كما ان جهود السلطات مبذولة الان لاقامة المباريات وتنظيم الالعاب التي تسمح لجميع الناس — كباراً او صغاراً — ان يشتركوا فيها .



يستحم بعضهم في الشمس على ضفة التايز ويتنزه آخرون في المراكب البخارية

ان قوانين الدفاع السلبي تحظر على الناس استعمال الانوار المسلطة التي تزيد الطبيعة رونقاً وتكسبها جمالاً . اما استعمال المفرقعات فامر ممنوع بتاتاً نظراً لضرورة استعمال موادها في الذخائر المتفجرة . لكنه يسهل على اي كان ان يجول في الهواء الطلق ويشترك في الحفلات الراقصة ويستمع لانغام الموسيقى العسكرية الصداحة التي كان لها اطيب الاثر في رفع مستوى الذوق الموسيقي بين مختلف طبقات الناس . اما تقديم القطع الموسيقية وتمثيل الروايات فتعنى بهما لجنة الموسيقى والفنون في المدن الكبيرة .

في الصيف الماضي تلذذ كثيراً سكان مدينة برمنهام بالروايات التي مثلت على مسارح الحدائق العامة وستمثل هذه السنة سلسلة من الروايات مدة تسعة اسابيع . وقد حذت مانشستر حذو برمنهام فتعاقدت مع جوقة من الممثلين الشكسبيريين ليمثلوا للجمهور بعض الروايات الذائعة الصيت في الحدائق العامة .

وفي المدن الصناعية القريبة من الجبال في شمال انكلترا حيث توجد معامل القطن والصوف في الاراضي السبخة يتهافت صغار العمال لقضاء العطلة في الحقول من مكان الى آخر .

وقد توفرت في هذه المناطق فنادق عديدة لاستيعاب هؤلاء العمال المتنزهين لقاء اجور طفيفة يتمكن كل فقير منهم ان يدفعها .

اما الذين يشتغلون في اماكن لم تتوفر فيها المناظر الطبيعية فانهم يستخدمون الدراجات للتنقل والتنزه . وبالنظر الى صغر البلاد وقرب القرى بعضها من بعض تسهل مهمة المتنزهين كثيراً فيتمتعون باجمل المناظر الطبيعية التي وهبتهم اياها يد الخالق .

فبناء عليه يعلم البريطانيون انهم اذا شاؤوا الانتفاع من اجازاتهم في عام ١٩٤٢ ترتب عليهم ان يقضوها في الاماكن المجاورة لهم ، دون ان يكون قربها مدعاة لملل او ضجر . وقد اكد المستر تشرشل منذ مدة طويلة ان الايام الحاضرة تستلزم العبوسة والابتهاج في وقت واحد . وفيما مضى كانت الصناعة البريطانية تظهر للزائرين بمظهر العبوسة فقط ، اما اليوم فقد ارتسمت على محياها ابتسامات الابتهاج لتبشر بمستقبل سعيد .



احدى الحفلات الراقصة في بارك رجنت وفيها عمال المصانع وافراد الجيش و غيرهم

انا وانت

★

كنت تنشدين في المساء لحن الصباح
وكنت اغني في المساء لحن الليـل

ففي الفجر ، انشدت الليل
فاختنق غناء الصبح في صدري

ونفرت البلابل المغردة للفجر ، وسكتت !
وسمعت الورودُ اليوم تنعب للّيل معك
فنفضت اوراقُهـا ندى ذلك الفجر

فأي فجر هذا الذي طلع على انشادك ؟!

البير اديب



المنشورات النقابية

أصدرت النقابة نقابة محرري الصحافة اللبنانية الجزء الثاني من منشوراتها النقابية . ولا بد لنا من التنويه بأهمية هذا المؤلف من الوجهة الصحفية ، ولا سيما انه الاول من نوعه بعد ، وبالتالي فهو مجموعة يرجع اليها في كل حين . يتألف هذا الكتاب من ١٠ اقسام تحتوي على قانون المطبوعات اللبناني كما حددته القرارات ٢٤٦٤ وتصحيحه و ٣٠٨٠ و ١٩٤ ، وعلى قانون المطبوعات العثماني (القانون بحد ذاته ، وجرائم المطبوعات ، وقانون المطابع العثماني ، وقانون حق التأليف ، فعلى مشروع قانون للمطبوعات وضعته لجنة عـام ١٩٣٧ ، وعلى القانون الاول لنقابة الصحافة الذي وضعته لجنة عام ١٩٢٤ برئاسة المرحوم وديع عقل ، فالقانون الثـاني لنقابة الصحافة (١٩٣٩) ، فمشروع قانون لنقابة الصحافة (١٩٤٢) . ويحتوي الكتاب ايضاً على نبذة عن جمعية الصحافة الخارجية (تأسيسها ، اسماء المراسلين ، نظام الجمعية) ، وعلى بحث للاستـاذ روبير ابيلا ، نقيب محرري الصحافة اللبنانية ، « في سبيل اصلاح الصحافة اللبنانية » ، وجدول عام باسماء الصحف السياسية في لبنان (مـع الصحف السياسية الصادرة بلغات غير معتبرة رسمية ، واسماء محرري الصحافة اللبنانية ، مصالح المطبوعات في لبنان) ، واخيراً يختم الكتـاب بجدول قيم لتسهيل العثور على نصوص قانونية ذات علاقة بالصحافة والمطبوعات ، مقتطفة من الدستور العثماني ومن نصوص للسلطـات الفرنسية ، والنصوص اللبنانية .

والجدير بالذكر والتقدير ان الاستاذ روبير ابيلا قد خصص قسماً كبيراً من وقته وتعبه لجمع تلك الوثائق الثمينة ، واغلبهـا كان مبعثراً في كتب قديمة ، كما اشرف بنفسه على طبع الكتاب واخراجه فجاء دليلاً على ما لنقابة محرري الصحافة اللبنانية ، على حداثة عهدها ، من الفضل على مهنة الصحافة الشريفة .

سلطان الظلام

الطبعة الثانية ١٩٤٢

نشرت « مكتبة الآداب » الطبعة الثانية من كتاب سلطان الظلام للاستاذ توفيق الحكيم ، بعد ان اضيفت اليه قطعتان لم تنشرا في الطبعة الاولى . وهكذا اصبح الكتاب جامعاً لخمس قطع سبق للمؤلف نشر بعضها في المجلات ، واذاعـة البعض الآخر من محطة الاذاعة البريطانية بلندن . وقدم المؤلف لهذه القطع بتمهيد طويل يقع في نحو ستين صفحة عرض فيها خواطره عن المدنية الحاضرة ، وعن التقدم الانساني ، وعلق على آراء المفكرين في اتجاه الحضارة ومستقبلهـا ، فتناول آراء المتشائمين من امثال كيسرلنج وجورج ربنسون وهكسلي وجون روستار ، ثم آراء المتفائلين مثل روزفلت وسمنز وبلزواتلي وبرنارد شو ، وانتهى من ذلك الى تبيين تفوق الآلة على الحياة الحاضرة ، واثر ذلك في صبغ العصر الحالي بالصبغة المـادية ، وفي انتصار القيم الاقتصادية على القيم الروحية والفكرية . ومن اجل هـذا شعر المؤلف ان على رجال الفكر في البلاد العربية — وهم الحراس على هذه القيم السامية النبيلة — واجباً خطيراً هو تعبئة مواهبهم للدفاع عن شؤون الفكر والروح ، وتوحيد اقلامهم ليساهموا بنصيبهم في الذود عن حضارة البحر الابيض ، تلك الحضارة التي ساهم اسلافهم في وضع احجارها الاولى . وتمنى ان تعرف الانسانية كيف تنفق بعد الان ملايين الملايين في التعمير والاسعاد بعد ان عرفت كيف تنفقها في التدمير والاستعباد . ويرى المؤلف ان كتابه ، في مقدمته وفي قطعه ، ليس الا صيحات يطلقها في هـذه الساعات القلقة ، ويهديها الى كل من يحمل قلباً نابضاً بالامل في سمو البشرية ، فياضاً بالحب للانسان والانسانية . والنزعة الانسانية نزعة قوية وجهت ادب الاستاذ الحكيم فيما نشر من مؤلفات ، وتوجهه في هذا الكتاب بصورة اوضح واقوى ، ومن مظاهر هذه النزعة الانسانية في ادبه انه يتجاوز التفكير الاقليمي الضيق ، فيعالج الالوان المشتركة من نزعات الحياة . ويترع في معالجته وفهمه لهذه الالوان نزعة انسانية خالصة ، واذا تناول مشكلة اجتماعية ضيقة فانما يتنـاولها تناولا رحباً فهي قد تدل على حادثة بعينها او ظاهرة فردية او جزئية ، ولكنها تصبح بعد ان يعرضها حادثة المجتمع ، والظاهرة التي تتردد في كل يوم .. وما اكثر الشخصيات التي يديرها الاستاذ الحكيم فيما يكتب من مسرحيات ، وليست هي في الواقع الا رموزاً تمثل افكاراً عامة ، وتتراءى وراءها قضايا انسانية مشتركة . فمسرحيته « اهل الكهف » ليست الا مأساة بين العقل الذي يشك والقلب الذي يؤمن ، ومسرحيته « شهرزاد » يمثل ابطالهـا معاني عامة :

« فالعبد » هو الظلام و « قمر » هو القلب ، « وشهريار » هو العقل، وحركتهم حول « شهرزاد» هي حركة الانسانية بمظاهرها المختلفة حول الطبيعة ، وقطعته « تلميذ الموت » في كتابه سلطان الظلام تدور بين الموت والمرض والحرب و « النقاش المجنون » .

فهو يتحرر من الزمن، فيتجاوز حدوده التي تقيده ،ويتخلص من جاذبية الماضي ، ويرى « ان معجزة الاغريق كانت في تخلصهم من هذه الجاذبية وفي ظهور تفكيرهم الحر وتأملهم المجرد ، اي ذاك التفكير الذي لا تحده تقاليد ولا سلطان ولا اديان ولا حتى لغات قديمة » . ويتحرر كذلك من المكان فينطلق عما يسمونه بيئات ومواطن ، وما اجمل هذه الانسانية الرحبة الفسيحة التي تتجلى في المنظر الرابع من « صلاة الملائكة » التي ختم بها كتابه والتي اهداها « الى اصدقاء الانسانية » ، عندما يسأل رئيس المحكمة عن اسم الملاك ، فيجيب الملاك .

— اسمي ؟ الحقيقة اني لم افكر في ذاك ، لم يكن لدي وقت لاختيار اسم من الاسماء ، لقد كان ما يشغلني اعظم واجل ، ومع ذلك ما الفرق بين اسم واسم ، وكل الاسماء سواء ، اختر لي من الاسماء ما تشاء . الرئيس : ووطنك ؟ جنسيتك ؟ . الملاك : . . انا على هذه الارض وكفى ، ما الفرق بين بقعة وبقعة ، وجنس وجنس، كل البقاع والاجناس سواء . اختر لي من البقاع والاجناس ما تشاء . الرئيس : واهلك؟ . الملاك : . . اهلي ؟ كل الناس اهلي ، لان كل بني الانسان اخوة ، حتى انتم يامن تحاكمونني ، انتم ايضا اهلي ، اني احبكم كلكم . لاني احب بني الانسان .

ولعل من العبث ان اعدد مظاهر النزعة الانسانية التي دفعت الكاتب الى اخراج مثل هذا الكتاب ، فهي منتشرة في كل صفحة ، وهي اصيلة لا تغادر كتابته ، غير ان نزعته الانسانية ، التي يثيرها في كتابه هذا ، ليست نزعة عاطفية تؤثر في القارىء من ناحية انفعاله ومشاعره ، لكنها نزعة فكرية تؤثر في القارىء معتمداً على تفكيره وعقله ووعيه الفني . . . فبالرغم من ان المجال واسع امام المؤلف ، في قطعته « شهرزاد مع شهريار العصر » ليثير الجانب العاطفي من القارىء ، فانه لم يمسه الا مساً رفيقاً . . ومن بعيد . . وان كان الاستاذ الحكيم لا يحاول الوصول الى حل نهائي او نتيجة حاسمة لما يعرض من مشاكل وقضايا فيما يكتب ، فذلك لانه يعتقد ان هذا ليس من مهمة الكاتب الحر ،« فالكاتب الحر — كما يراه — هو الحكم النزيه في حلبة اللاعبين ، انه هو الذي يحصي الاخطاء بغير تمييز ولا تحامل . . » على ان هذا الرأي لا يمنعه ان يصور ما يعرضه تصويراً فنياً دقيقاً ، يظهر بعد ذلك للقارىء كفتا المقارنة ، وسبيل الصواب بوضوح وقرب .

وان اعادة طبع هذا الكتاب للمرة الثانية في مدة لا تتجاوز السنة ، لدليل واضح على رواجه السريع ومكانته العالية ، وعلى اتجاه القراء نحو هذا النوع من الادب التوجيهي الذي يعالج بعض القضايا التي اثارتها الحرب الحاضرة ، فهو من ادب الحرب التي لابد ان تعيد للحرية نهارها وللفكر شمسه ، واذا بسلطان النور يملأ الآفاق . . .

ميخائيل نعيمه

نشرنا في الاعداد الماضية من « الاديب» بناء على رغبة القراء لائحة بمؤلفات امين الريحاني ثم لائحة بمؤلفات جبران خليل جبران وننشر في هذا العدد لائحة بمؤلفات ميخائيل نعيمه على ان نواصل في الاعداد القادمة نشر اللوائح التي نتمكن من تحضيرها بمؤلفات سائر الادباء .

الاباء والبنون	مطبعة الفنون	نيويورك	١٩١٨
الغربال	المطبعة العصرية	القاهرة	١٩٢٣
المراحل	مطبعة صادر	بيروت	١٩٣٣
جبران خليل جبران	مطبعة لسان الحال	بيروت	١٩٣٤
زاد المعاد	مطبعة المقتطف	القاهرة	١٩٣٦
كان ما كان	مطبعة المكشوف	بيروت	١٩٣٧

المجنون

رواية خيالية تمثيلية ذات فصل واحد وضعها باللغة التركية الكاتب الشهير رفيق خالد بك ونقلها الى اللغة العربية الاستاذ الكبير سامي الكيالي ، صاحب مجلة الحديث الحلبية الزاهرة وطبعت في المطبعة الحديثة بحلب . ولا يسعنا بهذه المناسبة الا ان ننوه بالجهود الطيبة التي يواصلها الاستاذ الكيالي في خدمة اللسان العربي والمكتبة العربية .

الوكالة العربية

تواصل الوكالة العربية التي انشئت في دمشق للاخبار والنشر والاستعلامات نشر كل ما من شأنه تعريف الاقطار العربية الى سائر ارجاء العالم . وقد توصلت خلال هذه الفترة الى تأمين مراسلين لها في جميع بلدان العالم العربي والشرقي ووفقت الى اختيار الاشخاص الذين يلامس القراء في انبائهم الصدق والسرعة والتفاني في خدمة القضية العامة . وقد شرحت الاعمال التي تقوم بها في كراس صغير وزعته اخيراً .



واشنطن – اول كانون الاول – صرح المستر ليتلتون في اجتماع صحفي بان الحرب يمكن ان تكسب في شهر حزيران سنة ١٩٤٣ . لندن – علم ان قسما كبيراً من حامية جيبوتي الفرنسية اجتاز الحدود ودخل الصومال البريطاني .

القاهرة ٢ – ابحر الفوج العاشر من الحجاج المصريين وقد بلغ حجاج هذا العام حوالي ثمانية عشر الف نسمة . موسكو – تمكن الجيش الاحمر من قطع اخر حلقة في الخط الحديدي الذي يتصل برجيف ، وقد اخذ الروس يجلون الالمان عن مراكز كثيرة محصنة ويواصل الجيش الاحمر هجومه الصاعق في كل الجبهات .

نيويورك ٣ – جاء في برقية من برن ان لافال وصل الى برلين للمفاوضة في شأن تأليف حكومة جديدة في فيشي . لندن – اذاع الراديو الالماني ان ترحيل سكان المدن الايطالية يجري بسرعة وسيجري ترحيل سكان مدينة روما وقد اتخذت الاحتياطات لحفظ الاثار، واغارت الطائرات البريطانية على غرب المانيافاحدثت اضراراً كبيرة . مكسيكو – احدث اعتراف حكومة المكسيك باللجنة الوطنية الفرنسية التي يرأسها الجنرال ديغول ارتياحاً كبيراً

نيويورك ٤ – صرح الميجر سيلسبي الملحق بالقوة الجوية الاميركية بان لدى الولايات المتحدة طائرات سرية تذهل الملائكة ، ويقول المستر كيزر ان الطائرات التي تصنعها الان مصانع كيزر وهيوارد قادرة على الطيران عبر الاطلنتيك وتفريغ شحناتها الثقيلة واستئناف طيرانها من غير حاجة الى وقود جديدة .

لندن٥ – مددبقاء الدكتوربنش رئيس جمهورية تشكوسلوفاكيا في منصبه وفق الدستور التشكوسلوفاكي وذلك بتصريح أصدره المجلس التشكوسلوفاكي .

استمبول ٦ – يغادر وفد التجار الاتراك استمبول قاصدين الى انكلترا لزيارة مصانعها الحربية . واشنطن – وضع مكتب الاستعلامات الاميركي تقريراً جاء فيه ان الولايات المتحدة انتجت في العام ١٩٤٢ ٤٩ الف طائرة و٣٣ الف دبابة ومدفعاً اتوماتيكياً و١٧ الف مدفع مضاد للطائرات ، كما انتجت سفناً بخارية حمولتها ٨ ملايين و٢٠٠ الف طن وانفقت ٤٧ الف مليون دولار على الانتاج الحربي ، وبلغ عدد العمال في الصناعات الحربية سبعة ملايين عامل ويزاد هذا العدد في العام المقبل .

الرباط ٧ – صرح الجنرال نوغيس القائد العام للقوات الفرنسية في مراكش بان السفن الفرنسية الراسية في ميناء دكار اصبحت تحت امرة الاميرال ميشليان القائد العام للقوات البحرية الفرنسية في مراكش . ملبورن – اذيع رسمياً ان قوات الحلفاء وصلت الى الشاطىء الذي يقع الى الشرق من بونا في غينيا الجديدة وبذلك تكون القوات اليابانية قدعزلت في هذه المنطقة وتواصل القوات الحليفة ضغطها الشديد في القطاعات الاخرى من غينيا الجديدة

الجزائر ٨ – اعلن ان الجنرال ايزنهاور عقد اتفاقاً مع المسيو بواسون حاكم افريقيا الغربية يسمح بمقتضاه للحلفاء استعمال دكار كقاعدة بحرية وجوية ، واطلق سراح سفن الحلفاء وبحارتها المعتقلين في افريقيا . زوريخ – اعدم الالمان ٢٥ تشيكياً جديدا بينهم امرأة بتهمة الخيانة العظمى ، وقد اصبح مجموع الذين اعدموا في خلال هذا الشهر ١٢٨ شخصاً بينهم ١٤ امرأة .

لندن١٠ – اعتقل الالمان في مدينة ليون وحدها ١١٠٠ شخص بتهمة الاعتداء على جندي الماني وينتظر ان يعدم بعض المعتقلين ويؤخذ البعض الاخر كرهائن .

القاهرة — انتهى الخبراء العسكريون من فحص اكثر من خمسمائة طائرة تركها العدو في اثناء تقهقره من العلمين فوجدوا ان عددا منها لا يزال يصلح للعمل بعد اصلاحات بسيطة بينها ٢٦٢ طائرة قتال ١٧٠ قاذفة قنابل والباقي انواع مختلفة . واكثر هذه الطائرات المانية .

لندن ١١ – عرف ان الالمانيين ماضون في نهب المكتبة الفرنسية الاهلية بباريس فقد نقلوا اخيرا عدة صناديق تحتوي على كميات من الكتب التاريخية والمستندات النادرة منها وصية نابوليون ورسائل كثيرة لنابوليون وللويس الرابع عشر وغير ذلك من المستندات القيمة . مراكش – اعتقلت السلطات الالمانية في باريس زعيم حزب اليمين السابق المسيو لوي ماران والذي كان عضوا في وزارة بول رينو .

نيويورك ١٢ – تفيد المعلومات الواردة الى اميركا بان اكثر من ثلاثمائة الف جندي ايطالي عمدوا الى الفرار واعتصموا بروس الجبال في كالابريا وصقلية وسردينيا ، وان قطارا حديدياً كان ينقل جنودا ايطاليين مكبلين لشقهم عصا الطاعة في الميادين الروسية . انقره – وافق المجلس الوطني الكبير على اعتماد اضافي بمبلغ ١١ مليون ونصف المليون ليرة تركية للدفاع الوطني في السنة المالية الحاضرة . لندن – صدر بلاغ رسمي في موسكو يقول ان عدد الاسرى الالمان منذ بداية معركة ستالينغراد اي منذ ١٩ تشرين الثاني بلغ ٧٣ الفاً وبلغ عدد القتلى ٩٤ الفاً واربعة اخماسهم من الالمان والباقي من الرومان هذا في جبهة ستالينغراد وحدها وهناك عشرات الالوف من الاسرى والقتلى المحوريين في الميادين الروسية الاخرى ، عدا عن الكميات الهائلة من الاعتدة والذخائر والمؤن التي غنمها الجيش الاحمر من اعدائه .

لندن ١٣ – فهم ان الالمان ضبطوا ٤٩ طناً من الذهب الفرنسي من مستودعات بنك فرنسا في باريس وليون وكليرمون فران ، وقد نقل هذا الذهب الى المانيا على قطر مسلحة

واشنطن ١٣ – جاء في احصاء ان معارك وادي الكنار وجزر سليمان كلفت اليابانيين ١٨٥ سفينة و ٦٢٦ طائرة .

مدينة الكاب ١٤ – صرح الماريشال سمطس انه عندما تنتهي حملة شمال افريقيا سيطلب الى البرلمان السماح لجيوش جنوب افريقيا العمل خارج ميادين افريقيا . لندن – عاد المستر كيزى وزير الدولة البريطاني من رحلته في الشرق الاوسط وكان قد زار ايران والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين .

نيويورك ١٥ – صرح قائد الطيران الاميركي فقال « لدينا سلاح او سلاحان جويان سريان سيكيلان لاعدائنا ضربات تشلهم وسيظهر أثرها

قريباً » . استمبول – تم عقد اتفاق سياسي جديد بين روسيا وتركيا يعرب عن الصداقة المتبادلة بينهما وينص على احترام روسيا لسيادة تركيا الاقليمية واستعدادها للاسراع الى مساعدة تركيا اذا ما وقع اعتداء عليها . لندن – نشر بلاغ انكليزي فرنسي مشترك ينص على انتهاء الادارة العسكرية الانكليزية في مدغسكر حال وصول الجنرال له جانتيوم الى هناك وستتخذ الترتيبات لممارسة السيادة الفرنسية ، ويقوم المندوب الفرنسي العام بسرعة لاعادة تنظيم القوات الفرنسية للاشتراك في الدفاع عن تلك الامصار .

لندن ١٦ – وضع المستر شارل لاي والد احد الضباط البريطانيين الذين ساهموا في اعتقال ثلاثة من القواد الايطاليين في ليبيا جائزة قدرها عشرة الاف جنيه استرليني لمن يقبض على روميل حياً كان او ميتاً . ستوكهولم – تقول مصادر موثوقة ان المسيو ليبران رئيس الجمهورية الفرنسية يقيم في سويسرا متنكراً اما زوجته فباقية في فرنسا .

نيويورك – وردت انباء من برن تقول ان في روما حركة ترمي الى سحب جميع المرافق العسكرية من عاصمة أيطاليا وحولها تمهيداً لاعلانها مدينة مفتوحة .

لندن ١٨ – تعتقد المحافل العسكرية لدى الامم المتحدة ان روميل سيقف تقهقر قواته وسيحاول الصمود في مسراطة التي تبعد مائة ميل شرقي مدينة طرابلس ، ومن المعتقد ايضاً ان قوات روميل ستحاول الانضمام الى قوات نهرين في تونس ليساعد الواحد الاخر .

لندن ٢٠ – اعلن الجنرال ايزنهاور ان الرئيس روزفلت عين المسيو روبيرت مورفي ممثلا خاصاً له في افريقيا الشمالية برتبة وزير مفوض . الجزائر – جاء في بلاغ المقر العام الحليف ان جميع السفن الفرنسية في افريقيا الشمالية والغربية انضمت الى العمل بجانب الحلفاء على ان يبقى قسم من هذه السفن يعمل لتموين افريقيا والاخر سيقوم بخدمة الحلفاء مباشرة . موسكو تقول شركة روتر ان مدى الهجوم الروسي يجعل كل مقاومة المانية بدون جدوى للنجاة من الكماشة التي يزداد انطباقها عليهم ، والموقف موافق جدا للروس الذين لا يتركون مجالا للالمان ليرتاحوا .

برلين ٢١ – اعترفت شركة د. ن. ب. بان الروس خرقوا خط الدفاع في فالوكي لوكي ثم قالت ان الروس يحشدون جيشاً عظيماً بغية شن هجوم كبير جنوبي رجيف . باريس – اذاع راديو باريس ان نجدات عظيمة جداً وصلت الى الجنرال اندرسون قائد الجيش الاول في تونس . ألجه – اذاع راديو ألجه ان الاميرال كوننغهام اعلن ان السفن الفرنسية في دكار تشترك الان في العمليات لا سيما في خفارة القوافل البحرية ، اما مصير الاسطول الفرنسي في الاسكندرية فلم يقرر شيء بمصيره .

ستوكهولم ٢٢ – كتبت جريدة سفنسكا داجبلات في روما يقول « بلغ عدد الايطاليين الذين هاجروا من المدن الايطالية بعد انذار موسوليني لهم في خطبته الاخيرة مليون شخص يضاف اليهم مائة الف اخرون على اهبة الهجرة . القاهرة – تدرس وزارة المعارف المصرية مذكرة تتعلق بالعلاقات الثقافية بين مصر والبلدان الشرقية والهند ومدى هذه العلاقات في الوقت الحاضر والوسائل التي تنميها بعد انتهاء الحرب .

لشبونه ٢٤ – اسفرت المفاوضات بين اسبانيا والبرتغال عن اتفاق وجهات النظر بشأن الموقف الدولي وقد عقد بينهما اتفاق صداقة وعدم اعتداء . لندن – جاء من ستوكهولم ان هتلر ولافال اتفقا على زيادة عدد العمال الفرنسيين في المانيا وعلى عقد صلح بين فرنسا والمانيا وتمنح ايطاليا بعض الترضيات ثم تأليف جيش فرنسي جديد ، وان تنضم فرنسا الى دول المحور والى ميثاق مكافحة الشيوعية ، وقيل ان لافال وعد هتلر باقناع المرشال بتان بذلك .

مكة المكرمة ٢٥ – بلغ عدد الحجاج الذين ادوا فريضة الحج هذا العام وقدموا بطريق البحر ٢٥ الفاً منهم ١٣ مصريين ٣٢٦٠ فلسطينين واردنيين و١٠٢٩ من سوريا ولبنان و٢٤٨٢ من السودان ، و٤٧٤١ من التكارنة ، ووفد بطريق البر ١٥ الفاً من بادية الشام وشرقي الاردن والكويت والعراق وايران وبلغ عدد الذين اشتركوا في تأدية فريضة الحج من القادمين براً وبحراً ومن شعب صاحب الجلالة السعودية ٩٨ الف حاج . الجزائر – اطلق شاب الرصاص على الاميرال دارلان في مقر عمله فصرعه وقد تبين ان القاتل من اصل فرنسي ووالدة ايطالية .

الجزائر ٢٦ – نفذ حكم الاعدام بقاتل دارلان رمياً بالرصاص وقد نقل جثمان الاميرال الى كنيسة القديسة ماري ، وفي رباط اقيمت الصلاة عن نفسه في الكاتدرائية . لندن – اذاع راديو مراكش ان المجلس الامبراطوري الفرنسي قد اختار بالاجماع الجنرال جيرو خلفاً للاميرال دارلان .

لندن ٢٧ – اذاع مقر القيادة العامة لفرنسا المحاربة بلاغاً جاء فيه : « انعقدت اللجنة الوطنية برئاسة الجنرال ديغول واخذت علماً بما حدث في افريقيا الشمالية الفرنسية وبحثت الاتحاد بالحرب بين الشعب والامبراطورية ونظرت اخيرا المسائل الطارئة ، وقد تناول الجنرال ديغول الغداء من الرئيس تشرشل بحضور الجنرال الفرنسي داستيه لافيجري العائد من مقابلة الجنرال جيرو .

نيويورك – اعلن رسمياً ان الصناعة الاميركية اصلحت خلال الستة اشهر الماضية اكثر من ١٢ الف سفينة وان عدة سفن جرى اصلاحها اكثر من مرة .

لندن ٢٨ – اذاع راديو برازفيل ان القوات الفرنسية المحاربة القادمة من تشاد التحمت بقوات المحور في طرف ليبيا الجنوبي . انقره – اعلن ان المعاهدة المعقودة بين الدول الاربع ايران افغانستان العراق تركيا قد مددت خمس سنوات اخرى من تلقاء نفسها ، وهي المعاهدة المعروفة بميثاق سعد آباد الموقعة في ٢٥ حزيران عام ١٩٣٨

لندن – اذاع راديو لندن ان الجنرال برجيري سيؤمن مهام معاون المندوب السامي في شمالي افريقيا .

ملبورن – جاء في بلاغ القيادة العليا الحليفة ان القوات الاسترالية والاميركية تشدد ضغطها على القوات العدوة المطوقة في بونا وجاء في بلاغ القيادة العامة في دلهي ان القوات البريطانية مواصلة تقدمها في برمانيا رغم رداة الاحوال الجوية .

نيويورك ٢٩ – يؤخذ من احصاء اذاعة مكتب جالوب الاميركي ان ٧٣ بالمئة من الاميركيين يعتقدون بضرورة انشاء هيئة عالية تتولى المحافظة على سلام العالم في المستقبل .